غزوة بدر الكبرى

تعتبر غزوة (بدر) أهم المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام، فقد فرَّقت بين حق يمثله المسلمون، وباطل يجسده المشركون، كما كشفت نتيجتها الباهرة عن قوة الحق وعصبته، وضعف الباطل وطغمته، وكانت بشارة جلية بقرب ظهور دولة الإسلام، وانسلاخ سلطة عبدة الأصنام، بعد أن استنارت العقول بأنوار الهداية، وانزاحت عنها ظلمات الغَواية[1]. ولم يكن بِدْعاً من الأمر، ولا عجيباً أن يظهر أنصار الرحمٰن، وتكون لهم الغلبة على أعوان الشيطان.

ولئن كانت للباطل جولة، فإن للحق صولة، ومهما تراكمت حول شمسه السحب والغيوم، فلا بد لها من يوم تنقشع[2] فيه وتتلاشى، حتى تظهر الشمس بنورها الساطع، وتغمر الكون بأشعتها الذهبية، وتبعث فيه الحياة. ولو تساءلنا: ألم تكن لهذه الغزوة من أمارات ومقدمات، تصلنا بغير تردد: بلى! فإن عدداً كبيراً من المهاجرين والأنصار لم يخرجوا إليها، ولم يشاركوا فيها، ولم يعابوا على صنيعهم، ولم يعاتبهم أو يعتب عليهم أحد. لأنهم لم يكونوا يظنون أن سيكون هناك قتال بين المسلمين وأعدائهم من المشركين، ولم يحاسب رسول الله ﷺ أحداً من أصحابه على تخلفه، وعدم خروجه في ذلك اليوم المجيد.

وكان من أمارات تلك الغزوة الدالة على قرب حدوثها، رؤيا غريبة

---

(١) الغَواية: الضلال.

(٢) تنقشع: تنجلي.

عجيبة رأتها في منامها عمة رسول الله ﷺ «عاتكة بنت عبد المطلب» فهبَّتْ من نومها فَزِعَةً مذعورةً، فلم يسكن روعها، ولم ينْجَلِ خوفها حتى قصتها على أخيها «العباس بن عبد المطلب»، وكانا يومئذٍ في مكة.

وقد روى رواة المغازي والسير تلك الرؤيا التي بدت «لعاتكة» في منامها كما حكتها لأخيها «العباس بن عبد المطلب»، وهذا هو نصها كما جاء في السيرة النبوية لابن هشام[1]، وكذلك في تاريخ ابن جرير الطبري.

[قال ابن إسحاق: فأخبرني من لا أتَّهم، عن عكرمة عن ابن عباس، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قالا: وقد رأت «عاتكة بنت عبد المطلب»، قبل قدوم «ضمضم» مكة بثلاث ليال، رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها «العباس بن عبد المطلب» فقالت: يا أخي! والله! لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ـ أي: اشتدت عليَّ ـ وتخَوَّفْتُ أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عني ما أحدثك به؛ فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالأَبْطَحِ، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا، يا لَغُدُر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناسَ اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مَثَلَ به ـ أي: قام ـ بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا، يالغُدُر لمصارعكم في ثلاث، ثم مَثَلَ به بعيره على رأس أبي قبيس ـ جبل بمكة ـ فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت ـ أي: تفتَّتت ـ، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار، إلا دخلتها منها فلقة.

قال العباس: والله! إن هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها، ولا تذكريها لأحد.

ثم خرج «العباس» فلقي «الوليد بن عتبة بن ربيعة» وكان له صديقاً، فذكرها لها، واستكتمه إياها، فذكرها «الوليد» لأبيه «عتبة»، ففشا[2]

(١) سيرة ابن هشام: (٢/٢١٩). وتاريخ الطبري (٢/٤٢٨).
(٢) فشا: ذاع وانتشر.

الحديث بمكة، حتى تحدثت به قريش في أنديتها. قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، و«أبو جهل بن هشام» في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا «عاتكة»، فلما رآني «أبو جهل» قال: يا أبا الفضل! إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا.

فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي «أبو جهل»: يا بني عبد المطلب! متى حدثت فيكم هذه النَّبية؟

قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت «عاتكة»؛ قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب! أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ قد زعمت «عاتكة» في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث، ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العباس: فوالله! ما كان مني إليه كبير، إلا أني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً، قال: ثم تفرقنا.

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يَكُنْ عندك غِيَرٌ لشيء مما سمعت. قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان مني إليه من كبير، وايم الله! لأتعرضَنَّ له، فإن عاد لأكْفِيَنَّكُنَّهُ.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا «عاتكة»، وأنا حديدٌ مُغْضَب أُرَى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه.

قال: فدخلت المسجد فرأيته، فوالله! إني لأمشي نحوه أتعرضه، ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر، قال: إذ خرج نحو باب المسجد يَشْتَدُّ.

قال: فقلت في نفسي: ماله؟ لعنه الله! أكل هذا فَرَقٌ مني أن أشاتمه؟

قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت «ضمضم بن عمرو الغفاري» وهو يصرخ ببطن الوادي، واقفاً على بعيره، قد جَدَّعَ بعيره، وحَوَّل رحله، وشَقَّ قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش! اللَّطيمة[1]! اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها «محمد» في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغَوْثَ! الغَوْثَ. قال: فشغلني عنه وشغله عني، ما جاء من الأمر.

فتجهز الناس سراعاً، وقالوا: أيظن «محمد» وأصحابه أن تكون كعير «ابن الحضرمي»؟ كلا، والله! ليعلَمَنَّ غير ذلك، فكانوا بين رجلين: إمَّا خارج، وإما باعثٌ مكانه رجلاً، وأوعبت قريش، ـ أي: خرجت إلى القتال ـ فلم يتخلف من أشرافها أحد. إلا أن «أبا لهب بن عبد المطلب» تخلَّف، وبعث مكانه «العاصي بن هشام بن المغيرة» وكان قد لاط له ـ أي احتبس وامتسك ـ بأربعة آلاف درهم، كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها على أن يجزىء عنه، بَعَثَه فخرج عنه، وتخلَّف «أبو لهب». قال ابن إسحاق: وحدثني «عبد الله بن أبي نجيح»: أن «أمية بن خلف» كان أجمع القعود، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه «عقبة بن أبي معيط» وهو جالس في المسجد بين ظهرانَيْ قومه، بِمَجْمَرَةٍ يحملها، فيها نار ومَجْمَرٌ ـ أي: عود يتبخر به ـ، حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي!، استجمرْ، فإنما أنت من النساء؛ قال: قَبَّحك الله! وقَبَّح ما جئت به! قال: ثم تجهز، فخرج مع الناس].

ولم يكن المسلمون على علم بما تدبره قريش، وبما أجمعت أمرها عليه. وقد بلغ رسولَ الله ﷺ أن «أبا سفيان بن حرب» عائد من الشام على رأس قافلة لقريش فيها تجارتها وأموالها، فندب المسلمين، وقال: (هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكُمُوها).

ولم يأمر رسول الله ﷺ أحداً بالخروج، بيد أنه ترك الأمر اختيارياً، لذا خفَّ بعض المسلمين فخرجوا، وثقل بعضهم فقعدوا لأنهم لم يظنوا أن

(١) اللطيمة: الإبل التي تحمل البزَّ والطِّيبَ.

حرباً ستنشب بين الفريقين، ولم يَلُمْ رسول الله ﷺ أحداً ممن قعد ولم يعاتبه.

وكان «أبو سفيان» حين اقترب من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، خوفاً على أموال قومه وتجارتهم، ولما أتاه الخبر أن «محمداً» ﷺ وأصحابه سيعترضون سبيله، بادر إلى تحذير قومه، واستأجَر «ضمضم بن عمرو الغفاري» وبعثه رسولاً إلى مكة لينذر قريشاً، ويستنفرها لاستنقاذ أموالها وتجارتها، ويخبرها أن «محمداً» وأصحابه سيعترضون قافلته وينتهبون ما فيها من أموال ومتاع، وانطلق «ضمضم بن عمرو» إلى مكة عجلان، ليبلغ قريشاً برسالة «أبي سفيان» ويحمل إليها تحذيره ومخاوفه مما عَزَم عليه المسلمون وانْتَوَوْه.

ولما أدى النذير إنذار «أبي سفيان» لقريش، استنفرت رجالها وتجهزت على عجل للدفاع عن القافلة بما فيها من رجال وأموال ومتاع حملوها من الشام. وخرجت قريش بكامل أُهبتها من المقاتلين والعتاد، وكان زعماؤها وقادتها يحلمون باستئصال شأفة المسلمين، والقضاء عليهم في لقائهم هذا. غير أن «أبا سفيان» عدل عن الطريق التي كان يتربصه بها المسلمون، وأخذ في طريق الساحل، وترك (بدراً) عن يساره، ثم حث مطاياه، وجَدَّ خطاه، حتى بلغ بقافلته مكة بسلام، ولما رأى ما أعدته قريش لقتال المسلمين قال لهم: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله، فارجعوا.

ولكن أشقى القوم «أبو جهل» قال: والله! لا نرجع حتى نرد (بدراً) ـ وكانت بدرٌ موسماً من مواسم العرب وسوقاً يجتمعون بها في كل عام ـ فنقيم ثلاثاً، وننحرَ الجُزُر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا.

وتصدَّى له «الأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفي» ـ وكان حليفاً لبني زُهرة وهم بالجُحْفة ـ وقال: يا بني زُهرة! قد نَجَّى الله لكم

أموالكم، وخَلَّص لكم صاحبكم «مَخْرَمة بن نوفل»، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جُبْنَها وارجعوا، فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضيعة، لا ما يقول هذا ـ يعني: أبا جهل ـ فرجعوا، فلم يشهدها زُهري واحد، وكان فيهم مطاعاً.

ولم يكن بقي من قريش بطن إلا نَفَر منهم ناس، إلا بني ي بن كعب، لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنُو زهرة مع (الأخنس بن شَرِيق)، ولم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد، ومضى القوم.

فلما بلغ رسول الله ﷺ مسير قريش استشار الناس، وأخبرهم بما أجمعت عليه قريش أمرها، فقام «أبو بكر الصديق» ـ رضي الله عنه ـ فقال وأحسن، ثم قام «عمر بن الخطاب» ـ رضي الله عنه ـ فقال وأحسن، ثم وقف «المقداد بن عمرو» فقال: يا رسول الله! امض لما أراك الله فنحن معك، والله! لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِماد لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير. ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا عليَّ أيها الناس! وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله! إنا برءاء من ذِمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوَّف ألاَّ تكون الأنصار ترى عليها نصرَه إلا ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له «سعد بن معاذ»: والله! لكأنك تريدنا يا رسول الله! قال: أجل، قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق! لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلَّف منا

رجل واحد، وما نكره أن تَلْقَى بنا عدونا غداً، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منَّا ما تَقَرُّ به عينُك، فسِرْ بنا على بركة الله.

فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونَشَّطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله! لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

واختلف كتاب السير في عدد من خرج مع رسول الله ﷺ، والمرجح أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، بينما خرجت قريش في ألف مقاتل، ولكن التفوق في العدد والعتاد لا يعني شيئاً لمن فقد الإيمان، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة إذا كان خروجها في سبيل الله، وابتغاء إعلاء كلمته ونشر دينه! وما النصر إلا من عند الله، ولن يهبه إلا للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

ولما نزلت قريش بالجُحْفَة، رأى «جُهَيْمُ بن الصَّلْت بن مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف» رؤيا فقال: إني رأيت فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له، ثم قال: قتل «عتبة بن ربيعة» و«شيبة بن ربيعة» و«أبو الحكم بن هشام» ـ يعني: أبا جهل ـ و«أمية بن خلف» وفلان وفلان، فعدَّد رجالاً ممن قتل يومئذٍ من أشراف قريش، ورأيته ضَرَبَ في لَبَّة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خِباء من أخبية العسكر، إلا أصابه نَضحٌ من دمه. وبلغ ذلك «أبا جهل» فقال: وهذا أيضاً نبي آخر من بني المطَّلب، سيَعْلَم غداً مَنِ المقتول إن نحن التقينا!

قال أبو جعفر الطبري[1] [عن ابن إسحاق: قال: ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، خلف العقنقل، وبطن الوادي وهو يَلْيَل، بين بدر وبين العقنقل، الكثيب الذي خلفه قريش، والقُلُبُ ـ الآبار ـ ببدر

(١) تاريخ الطبري: (٢/٤٣٩)، وابن هشام: (٢/٢٣٢).

في العدوة الدنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة.

وبعث الله السماءَ، وكان الوادي دَهْساً ـ أي: ليناً وليس رملياً ـ، فأصاب رسولُ الله ﷺ وأصحابُه منها ما لبَّد لهم الأرض، ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من (بدر) نزل به. قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سَلِمَةَ، أنهم ذكروا: أنَّ «الحُبَاب بن المنذر بن الجموح» قال: يا رسول الله! أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: (بل هو الرأي والحرب والمكيدة). فقال: يا رسول الله! فإن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نُغَوِّر ـ أي: ندفن ـ ما سواه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ (لقد أشرت بالرأي).

فنهض رسول الله ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فَغُوِّرت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه، فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية]. .

ثم تابع الطبري حديثه فقال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، أن سعد بن معاذ، قال: يا رسول الله ألا نبني لك عريشاً من جريد، فتكون فيه، ونعدُّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعَزَّنا الله، وأظهرنا على عدونا، كان ذلك مما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمَنْ وراءنا من قومنا، فقد تخلَّف عنك أقوام يا نبي الله! ما نحن بأشدَّ حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تَخَلَّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى رسول الله ﷺ عليه خيراً، ودعا له بخير.

وبُني لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه، ولما رأى قريشاً تَصَوَّبُ ـ أي: تنحدر ـ من العقنقل ـ وهو الكثيب الذي منه جاءوا إلى الوادي ـ قال: (اللَّهم! هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحَادُّك وتكذب رسولك، اللَّهم فنصرك الذي وعدتني، اللَّهم! فأحنهم الغداة) ـ أي: أهلكهم. وحين رأى رسول الله ﷺ «عتبة بن ربيعة» في القوم على جمل له أحمر، قال: (إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه شدوا).

وأهدى «خُفاف بن أيماء بن رَحَضَةَ الغفاري» أو أبوه «أيماء» إلى قريش حين مرُّوا به عدداً من الجزائر ـ الذبائح ـ بعث بها مع ابنه، وأبدى لهم استعداده لتزويدهم بالسلاح والرجال، فأرسلوا له مع ابنه: أن وصلتك رحم، قد قضيت الذي عليك، ونحن إن كنا نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم، وإن كنا نقاتل الله ـ كما يزعم محمد ـ فما لأحد بالله من طاقة. وورد حوض رسول الله ﷺ نفر من قريش يريدون أن يشربوا، وفيهم «حكيم بن حزام» على فرس له، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم، فما شرب منهم رجل يومئذٍ إلا قتل؛ إلا ما كان من «حكيم بن حزام»، فإنه لم يقتل، نجا على فرسه (الوجيه)، ثم أسلم بعدُ وحسن إسلامه، وكان إذا أراد القسم يقول: لا والذي نجاني يوم بدر!.

وبعثت قريش «عُمير بن وَهْب الجمحيَّ» ليحزر لهم كم عدد أصحاب «محمد» ﷺ، فطاف بفرسه حول العسكر، ثم عاد إليهم ليقول: إنهم ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ثم استمهلهم ليرى ما إذا كانوا كميناً أو مدداً. ثم انطلق في الوادي وأبعدَ، فلم يَرَ شيئاً ورجع إليهم وقال: لم أجد شيئاً، ولكن، يا معشر قريش! البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم منعة، ولا ملجأ لهم إلا سيوفهم. ولله! ما أرى أن يُقتل رجل منهم، حتى يقتل رجلاً منكم، فإذ أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم.

وبعد أن سمع «حكيم بن حزام» ذلك، ذهب إلى «عتبة بن ربيعة»،

وقال له: يا أبا الوليد! إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها، ولو أنك تفعل ما أقول، فستذكر بالخير حتى آخر الدهر، قال: وما ذاك يا حكيم قال: ترجع بالناس، وتحمل أمر حليفك «عمرو بن الحضرمي» فقال: قد فعلت، فأت ابن الحنظلية ـ أي: أبا جهل، والحنظلية أمه وتدعى أسماء بنت مُخَرِّبة ـ فإني لا أخشى أن يَشْجُرَ أمر الناس غيرُه.

فجاء «حكيم» إلى «أبي جهل» وقال له: يا أبا الحكم! لقد أرسلني «عتبة» إليك بكذا وكذا، فقال: انتفخ والله سَحْره ـ كناية عن الجبن ـ حين رأى «محمداً» وأصحابه، كلا، والله! لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين «محمد»، ثم بعث إلى «عامر بن الحضرمي»، فقال: هذا حليفك يريد الرجوع بالناس، فقم واطلب من قريش الوفاء بعهدهم لك، وثأرك أمامك، فقام «عامر» يصرخ: واعمراه! واعَمْراه!

وهكذا أفسد الخبيث «أبو جهل» على الناس ما دعاهم إليه «عتبة» وقامت الحرب، وعلى الباغي تدور الدوائر!.

وقال «عتبة» حين سمع قول «أبي جهل»: انتفخ والله سَحْره، قال: سيعلم مُصَفِّر اسْتِه من انتفخ سَحْره، أنا أم هو؟ والسَّحْر: الرئة. ثم التمس «عتبة» خوذة ليدخلها في رأسه، فما وجد في عتاد الجيش خوذة تناسب هامته لِعِظَمها، ولما رأى ذلك أخذ برداً له فاعتجر على رأسه به ـ أي: تعمم به ـ.

واشتعل فتيل القتال، وكان أول من تقدم من جانب المشركين، رجل شرس جافٍ، غليظ القلب، سيِّىء الخلق يدعى «الأسود بن عبد الأسد المخزومي» يمشي مشية يبغضها الله ورسوله ﷺ لما فيها من الكبر والخيلاء، فقال: أعاهد الله لأشربَنَّ من حوضهم أو لأهدِمنَّهُ، أو لأموتَنَّ دونه! وكانت الأخيرة به أليق. فقد خرج إليه «حمزة بن عبد المطلب» أسد الله وأسد رسوله ﷺ، فوجّه للأسود ضربة بسيفه أطارت قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فسقط على ظهره ورجله تشخب دماً ـ أي: تسيل

بصوت ـ، ثم زحف إلى الحوض حتى وصل إليه، فاقتحم فيه، يريد ـ حسب زعمه ـ أن يبر بيمينه، وما كان «حمزة» ليتركه قبل أن يجهز عليه، فأتبعه، ثم ضربه حتى قتله في الحوض. وكانت هذه البداية بارقة أمل للمسلمين، وأمارة يأس للمشركين، لأنهم فقدوا أعتى رجالهم، وأكثرهم شراسة منذ اللحظة الأولى.

ثم برز ثلاثة من زعماء قريش هم: «عتبة بن ربيعة» بين ولده «الوليد بن عتبة» وأخيه «شيبة بن ربيعة»، وتقدموا صفوف جيشهم، ثم دعا «عتبة» المسلمين إلى المبارزة، فانطلق ثلاثة من فتية الأنصار يلبُّون النداء، وهم: «عوف» وأخوه، «مُعَوِّذ» ابنا «الحارث» وأمهما «عفراء» وثالثهما «عبد الله بن رواحة» شاعر رسول الله ﷺ، فقال المشركون: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. فقال المشركون: ما لنا بكم حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد! أخرج لنا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ عندئذٍ: قم يا عبيدة بن الحارث! وقم يا حمزة! وقم يا علي! فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، فقال المشركون: نعم أكفاء كرام!

وبارز «عبيدة» ـ وكان أَسَنَّ القوم ـ «عتبة بن ربيعة» فتبادلا ضربتين، فأثبت كل منهما صاحبه، وقتل «حمزة» صاحبه «شيبة»، وكذلك فعل «علي» بصاحبه «الوليد»، ثم كر «حمزة» و«علي» على «عتبة» فذَفّفا عليه ـ أجهزا عليه ـ ثم احتملا أخاهما «عبيدة» إلى معسكر المسلمين، وقد قطعت رجله، فمخها يسيل، فلما جاءوا رسول الله ﷺ بعبيدة، قال عبيدة: ألست شهيداً؟ يا رسول الله! قالَ: بلى! فقال «عبيدة» لو كان «أبو طالب» حيًّا لعلم أني أحق بما قال منه حيث يقول:

ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه ... ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ[1]

(١) لم يذكر البيت ابن هشام في سيرته.

وذكر الطبري عن محمد بن إسحاق[١]: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن «عتبة بن ربيعة» قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا: أكفاء كرام، إنما نريد قومنا، ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألاَّ يحملوا حتى يأمرهم، وقال: (إن اكتنفكم القوم فانضحوهم ـ أي: ارموهم ـ عنكم بالنَّبْل)، ورسول الله ﷺ في العريش ومعه ـ أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه.

وقال أبو جعفر[١]: [وكانت وقعة (بدر) يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان، السنة الثانية للهجرة المباركة) كما حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق، وحدثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان بن واسع، عن أشياخ من قومه: أن رسول الله ﷺ عَدَّل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قِدْحٌ ـ سَهْمٌ ـ يُعَدِّل به القوم، فمر بسَوَاد بن غَزِيَّةَ، حليف بني عدي بن النجار، وهو مُسْتَنْتِلٌ ـ أي: متقدم ـ من الصف، فطعن رسول الله ﷺ في بطنه بالقِدْح، وقال: (اسْتَوِ يا سوادَ بن غَزِيَّة)، قال: يا رسول الله! أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق، فأَقِدْني ـ أي: اقتص لي من نفسك ـ قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ثم قال: (اسْتَقِدْ)، قال: فاعتنقه وقبَّل بطنه، فقال: (ما حملك على هذا؟ يا سواد!) فقال: يا رسول الله! حَضَر ما ترى، فلم آمن القتل، فأردت أن يكون آخرَ العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيراً.

ثم عَدَّل رسول الله ﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش، ودخله، ومعه فيه «أبو بكر الصديق» ليس معه فيه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: (اللَّهم! إنك إن تَهْلك هذه العصابة اليوم ـ يعني المسلمين ـ لا تعبد بعد اليوم)، و«أبو بكر» يقول: يا نبي الله! بعضَ مناشدتك ربك، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ منجزٌ لك ما وعدك.

وجاء في حديث عكرمة بن عمار، قال: حدثني سماك الحنفي، قال:

---

(١) تاريخ الطبري: (٤٤٦/ ٢).

سمعتُ ابن عباس يقول: حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر، ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وعِدَّتِهم، ونظر إلى أصحابه نَيِّفاً على ثلاثمائة، استقبل القبلة، فجعل يدعو، يقول، (اللَّهم! أنجز لي ما وعدتني، اللهمَّ! إن تَهْلِكْ هذه العصابة من أهل الإسلام، لا تعبد في الأرض، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، فأخذ «أبو بكر» فوضع رداءه عليه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: كفاك يا نبي الله! ـ بأبي أنت وأمي ـ مناشدتَك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك! فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]. وفي حديث آخر لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ قال: وهو في قبته ـ عريشه ـ يوم بدر: (اللهمَّ! إني أسألك عهدك ووعدك، اللهمَّ! إن شئتَ لم تُعبد بعد اليوم). قال: فأخذ ـ أبو بكر ـ بيده، فقال: حَسْبُك يا نبي الله! فقد ألححت على ربك ـ وهو في الدرع ـ فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥ ـ ٤٦].

وفيما كان رسول الله ﷺ في العريش أخذته إغفاءه خفيفة، فلما انتبه، قال: (يا أبا بكر! أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده، على ثناياه النَّقْعُ ـ الغبار ـ).

وكان «مِهْجَعٌ» مولى عمر بن الخطاب ـ أول قتيل من المسلمين، وقد أصيب بسهم فقتله. ثم رمي «حارثة بن سراقة» وهو يشرب من الحوض فقتل وهو غلام[1]، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تَرَ ما أصنع، فقال: (ويحك ـ أوَهَبِلْتِ ـ أوَ جنةٌ واحدةٌ هي؟ إنها جنانٌ كثيرة، وإنه في جنة الفردوس)[2].

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم على القتال، ونَفَّل كل

(١) انظر غزوات الرسول ﷺ للشعراوي.
(٢) أخرجه البخاري ي المغازي (٣٧٦١).

رجل منهم ما أصاب، وقال: (والذي نفس محمد بيده! لا يقاتلهم اليوم رجل فَيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة)، فقال «عُمَيْر بن الحُمَام، أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بَخٍ بَخٍ ـ كلمة للإعجاب بسكون الخاء وكسرها ـ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء! ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل، وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زادِ ... إلا التقى وعمل المَعادِ
والصبر في الله على الجهادِ ... وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النفادِ
غيرُ التقى والبر والرشادِ[1]

وجاء في حديث محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن عوف بن الحارث ـ وهو ابن عفراء ـ قال: يا رسول الله! ما يضحك الرب ـ أي: ما يرضيه غاية الرضا ـ من عبده؟ قال: (غمسه يده في العدو حاسراً)، فنزع درعاً كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ.

وقال محمد بن إسحاق، وحدثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر العُذْرِيِّ ـ حليف بني زهرة ـ قال: لما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جهل: اللهمَّ! أقطعُنا للرحم، وآتانا بما لا يُعْرَف، فَأَحْنِهِ الغداة ـ أي أهلكه ـ فكان هو المستفتح على نفسه يريد أنه حكم على نفسه بهذا الدعاء.

وجاء في لسان العرب ـ مادة فَتَحَ: [روي أن أبا جهل قال يومئذٍ: اللهمَّ! أَقْطَعُنا للرحم، وأفسدُنا للجماعة، فَأَحْنِهِ اليوم! فسأل الله أن يحكم بحَيْن ـ أي: بهلاك ـ من كان كذلك، فنصر النبي ﷺ، وناله هو الحَيْنُ وأصحابه]، والحمد لله رب العالمين. ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشاً، ثم قال: (شاهت الوجوه!) ثم نضحهم بها،

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٢/٤٤٨) ولم يذكرها ابن هشام في سيرته.

وقال لأصحابه: (شُدُّوا) فكانت الهزيمة لأعداء الله، وقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأُسِرَ مَنْ أُسِرَ منهم، وأخذ القوم يضعون أيديهم يَسْتَأْسِرُون، ورسول الله ﷺ يرقبهم من عريشه، و«سعد بن معاذ» واقف بباب العريش، متوشحاً سيفه، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ، يَخْشَوْنَ عليه كَرَّة العدو وإيذاءه.

ورأى رسول الله ﷺ في وجه، «سعد بن معاذ» الكراهية لما يصنع الناس الذين يضعون أيديهم في الأسر، فقال له: (لكأنك يا سعد! تكره ما يصنع الناس!) قال: أجل والله! يا رسول الله! كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين، فكان الإثخان في القتل أعْجَبَ إليَّ من استبقاء الرجال.

وقد نهى الرسول ﷺ يوم بدر عن قتل بعض الناس، فيما رواه ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومئذٍ: (إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كَرْهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي «أبا البَخْتري بن هشام بن الحارث بن أسد» فلا يقتله، ومن لقي «العباس بن عبد المطلب» عم رسول الله فلا يقتله، فإنه إنما أُخرج مستكرهاً).

قال: فقال «أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة»: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس؟ والله! لئن لقيته لألحمنه السيف ـ أي: لأضربن وجهه بالسيف ـ، فبلغت رسول الله ﷺ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب (يا أبا حفص!، أما تسمع إلى قول أبي حذيفة؟ يقول: أضرب وجه عم رسول الله بالسيف!) فقال عمر: يا رسول الله! دعني، فلأضربَنَّ عنقه بالسيف؛ فوالله! لقد نافق.

قال عمر: والله! إنه لأول يوم كنَّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص. قال: فكان «أبو حذيفة» يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذٍ، ولا أزال منها خائفاً إلاَّ أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم (اليمامة) شهيداً.

وجاء نهي رسول الله ﷺ عن قتل «أبي البَخْتري» لأنه نأى بنفسه عن إيذاء رسول الله ﷺ، ولم يبلغه عنه ما يكرهه، كما شارك في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب.

ولقي «المجذَّر بن ذياد البلوى»، وهو حليف للأنصار من بني عدي، «أبا البَختري» مع صاحب له، فقال المجذَّر: إن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك. فقال: وصاحبي؟ فقال المجذَّر: لا والله! ما نحن بتاركيه، وما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك، فقال «أبو البَخْتري»: لا والله! إذاً، لأموتن أنا وهو جميعاً، فلا تتحدث نساء قريش في مكة أني تركت صاحبي حرصاً على الحياة، وأبى إلا القتال، وهو ينشد:

لن يُسْلِمَ ابن حرة أكيلَهْ ... حتى يموت أو يرى سبيلَهْ

فاقتتلا، فقتله، «المجذَّر بن ذياد» ثم أتى النبي ﷺ، وقال: والذي بعثك بالحق! لقد ألححتُ عليه أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلا القتال، فقتلته. وأنشد المجذَّر في قتل أبي البختري[1]:

إما جهلت أو نسيت نسبي ... فأثبتِ النسبة أني من بَلي
الطاعنين برماح اليزني ... والضاربين الكبش حتى ينحني
بَشِّر بيُتْم مَنْ أبوه البَخْتَري ... أو بَشِّرَنْ بمثلها مني بَني
أنا الذي يقال أصلي من بَلي ... أطعن بالصعدة[2] حتى تنثني
وأغبِطُ[3] القِرْن بعَضْب[4] مَشْرَفي ... أُرْزِمُ[5] للموت كإرزام المَرِي[6]
فلا ترى مجذَّراً يفري فَري

ولقد حدثت يوم (بدر) بعض المفاجآت الغريبة، إذ من المعلوم أن

(١) الأبيات في سيرة ابن هشام (٢٤١/ ٢) ولم يذكرها الطبري. والكبش: رئيس القوم.
(٢) الصَّعْدَة: الرمح.
(٣) أعبط: أقتل.
(٤) العَضْب: السيف القاطع.
(٥) أرزم: أحِنُّ.
(٦) المَرِي: الناقة الغزيرة اللبن.

المسلمين خرجوا إلى (بدر) ابتغاء مرضاة الله، وإعلاء كلمته، دون أي اعتبار آخر، لا بقرابة أو نَسَب، ولا لجاه أو حَسَب، أو أي شأن يتصل بالدنيا ومتاعها. وكانت أول مفاجأة حين وَجَدَ «أبو عبيدة بن الجراح» نفسه أمام اختبار عصيب، ولكنه اجتازه بتفوق عجيب، فدلَّل - حقاً وصدقاً - على أنه جدير بلقب «أمين الأمة» الذي نَبَزَه به الصادق المصدوق ﷺ، ولكن أي اختبار ذاك الذي تعرض له الأمين؟ كان «أبو عبيدة» رضي الله عنه مثلاً في الشجاعة والإقدام، بيد أن أحد فرسان المشركين كان يتعرض له يوم (بدر)، ورحى المعركة تدور، وجثث قتلى قريش تملأ الساحة، غير أن «أبا عبيدة» كان يتحاشى لقاء ذلك الفارس ويبتعد عن طريقه، ولكن هيهات! فكلما فرَّ «أبو عبيدة» من أمامه أمعن الفارس في طلبه وملاحقته لأنه يريد أن يسلبه حياته، ويسكت في صدره الأنفاس.

إنه لتصرف غريب! ولا بد أن وراء فرار المسلم الشجاع المقدام، من فارس مشرك، سراً يود كل امرىء لو يطلع عليه. وتوقف الأمين لحظة وسأل نفسه؟ هل هناك معيار أقوى من معيار الإيمان، وأجدر بالإيثار؟ وسمع من أعماقه نداء جلياً يناديه، ويقول: لا أيها الأمين، لا شيءَ أغلى من الإيمان، وحينئذٍ حَزَم أمره، ثم التفت إلى مطارده بعد أن كان يتفادى لقاءه، ثم دنا منه، وأغمد سيفه في صدره فخر صريعاً يتخبط بدمائه، ولم يكن الفارس القرشي القتيل إلا «عبد الله بن الجراح» والد الأمين (أبي عبيدة). ونزل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وكانت المفاجأة الثانية لقاء مؤذن رسول الله ﷺ «بلال بن رباح» بمن ذاق على يديه كؤوس الذل والهوان، وأشد أنواع العذاب، إنه «أمية بن خلف»، ولكن! كيف تم اللقاء؟ وما الذي أسفر عنه؟

روى أبو جعفر الطبري في تاريخه[١]، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الواحد بن أبي عون، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف قال: قال لي «أمية بن خلف» وأنا بينه وبين ابنه، آخذ بأيديهما: يا عبد الإله! من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟

قال: قلت: ذاك «حمزة بن عبد المطلب»، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل! قال عبد الرحمٰن: فوالله! إني لأقودهما، إذ رآه «بلال» معي، وكان هو الذي يعذب «بلالاً» بمكة على أن يترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة ـ أي: الرمل الملتهب ـ إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين «محمد»، فيقول «بلال» أَحَدٌ أَحَدٌ، فقال «بلال» حين رآه: رأس الكفر «أمية بن خلف»، لا نجوتُ إن نجوتَ، قال: قلت: أيْ بلال!، أسيريَّ! قال: لانجوتُ إن نَجَوا. قال: قلت: تُسَمِّعْ[٢] يا بن السوداء! قال: لانجوتُ إن نَجَوا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله! رأس الكفر «أمية بن خلف»، لانجوتُ إن نجا! قال: فأحاطوا بنا، ثم جعلونا في مثل المَسَكَة ـ أي: في حلقة كالسوار وأحدقوا بنا ـ وأنا أَذُبُّ عنه، قال: فضرب رجلٌ ابنَه فوقع، وصاح «أمية» صيحة ما سمعت بمثلها قط، قال: قلت: انْجُ بنفسك، ولا نَجَاء، فوالله! ما أغني عنك شيئاً. قال: فهبروهما ـ أي: قطَّعوهما ـ بأسيافهم حتى فرغوا منهما، قال: فكان «عبد الرحمٰن» يقول: رحم الله بلالاً! ذهبت أدراعي وفجعني بأسيريَّ، ـ وسبب قول «عبد الرحمٰن» هذا، أنه كان قد استلب أدراعاً في المعركة، وكان يحملها، فرآه «أمية» وابنه «علي» فطلب منه «أمية» أن يأخذهما أسيرين، ويطرح الأدراع، ففعل، فلما قُتِل «بلالٌ» وأصحابُه «أمية» وولده، رأى «عبد الرحمٰن» رضي الله عنه أنه خسر الأدراع وفجع بالأسيرين، فقال الذي قاله.

---

(١) تاريخ الطبري: (٢/٤٥٢) وابن هشام في سيرته (٢/٢٤٣).
(٢) تُسَمِّع: تُشَهِّر.

ووفى رب العزة بما وعد به رسوله ﷺ من النصر فبعث مدداً من الملائكة الكرام، يقودهم «جبريل» عليه السلام.

يقول «محمد بن إسحاق» وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث عن ابن عباس، أن ابن عباس، قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابنٌ عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على (بدر)، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرة، فننتهب مع من ينتهب، قال: فبينا نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ - اسم فرس جبريل عليه السلام - قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهْلِكُ، ثم تماسكت. وفي حديث آخر، قال محمد بن إسحاق، وحدثني أبي إسحاق بن يَسار عن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني - وكان شهد بدراً - قال: إني لأَتْبَعُ رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري.

وفي حديث آخر عن العلاء بن كثير، عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن المسور بن مَخْرَمة، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال: قال لي أبي: يا بني! لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

وقال محمد بن إسحاق: وحدثني الحسن بن عُمارة، عن الحكم بن عتبة، عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن عباس، قال: كانت سيما الملائكة يوم (بدر) عمائمَ بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم (حنين) عمائم حمراً ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم (بدر). وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عَدَداً ومدداً لا يضربون.

ولكن ما الذي حدث لأبي جهل الذي استفتح على نفسه بالهلاك؟ روى عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قالا: كان «معاذ بن عمرو بن الجموح، أخو بني سلمة يقول: لما

فرغ رسول الله ﷺ من عدوه، أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى، وقال: (اللَّهمَّ! لا يعجزنَّك) قال: فكان أول من لقي أبا جهل، «معاذ بن عمرو بن الجموح»، قال: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحَرَجَة[1] ـ أي: الشجر الملتف ـ وهم يقولون: أبو الحكم لا يُخْلَصُ إليه، فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أَطنَّتْ ـ أطارت ـ قدمه بنصف ساقه، فوالله! ما شبهتها حين طاحت إلا النواة تطيح ـ أي: تذهب ـ من تحت مِرْضَخَة النوى ـ أي: كسَّارة النوى ـ حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه «عكرمة» على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني غلبني ـ القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني جعلت عليها رجلي، ثم تمطَّيت بها، حتى طرحتها.

قال: ثم عاش «معاذ» بعد ذلك، حتى كان في زمن «عثمان بن عفان». قال: ثم مَرَّ بأبي جهل وهو عقير ـ أي: جريح ـ مُعَوِّذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته ـ أي: جرحه جراحة لا يتحرك معها ـ، فتركه وبه رمق، وقاتل «معوِّذ» حتى قُتِلَ، فمر «عبد الله بن مسعود» بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى، وقد قال لهم رسول الله ﷺ فيما بلغني: (انظروا إن خفي عليكم في القتلى، إلى أثر جرح بركبته، فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدبة لعبد الله بن جُدعان، ونحن غلامان، وكنت أشَفَّ منه بيسير، فدفعته، فوقع على ركبتيه، فجُحِشَ في إحداهما ـ أي: خُدِش جَحْشاً لم يزل أثره فيه بعد)، قال «عبد الله بن مسعود»: فوجدته بآخر رمق، فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، قال: وقد كان ضبَثَ ـ أي: قبض عليه ولزمه ـ بي مرة بمكة، فآذاني ولكزني، ثم قلت: هل أخزاك الله؟ يا عدو الله! قال: وبماذا أخزاني؟ أعْمَدُ من رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدَّبْرَة؟ قال: قلت لله ولرسوله.

---

(١) في الحديث: عن عمر بن الخطاب أنه سأل عن الحرجة، فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها.

وقال محمد بن إسحاق: زعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود، كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيت يا رُوَيْعِيَ الغنم مرتقًى صعباً! ثم احتززت رأسه، ثم جئت به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! هذا رأس عدو الله «أبي جهل»، قال: فقال رسول الله ﷺ. آلله الذي لا إلٰه غيره! ـ وكانت يمين رسول الله ﷺ ـ قال: قلت: نعم، والله! الذي لا إلٰه غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ، قال: فحَمِد الله. وهكذا نال الخبيث جزاء ما كسبت يداه، أما جزاء الآخرة فالله به أعلم.

ولكن أين انتهى المطاف برؤوس الكفر، وصناديد المشركين؟. يقول محمد بن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب ـ أي: البئر ـ طرحوا فيه، إلا ما كان من «أمية بن خلف» فإنه انتفخ في درعه حتى ملأها، فذهبوا ليحركوه، فتزايل ـ تَفَرَّق ـ فأقرُّوه، وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة، فلما ألقاهم في القليب، وقف رسول الله ﷺ عليهم، فقال: (يا أهل القليب! هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً)، فقال له أصحابه: يا رسول الله! أتكلم قوماً موتى؟ قال: (لقد علموا أن ما وعدتهم حق) قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، وإنما قال رسول الله ﷺ: (لقد علموا).

وفي حديث حميد الطويل، عن «أنس بن مالك» قال: سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسولَ الله وهو يقول من جوف الليل: يا أهل القليب! يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! يا أمية بن خلف! يا أبا جهل بن هشام! فعدَّد مَنْ كان معهم في القليب: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً! قال المسلمون: يا رسول الله! أتنادي قوماً قد جيّفوا فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني. وفي حديث آخر لمحمد بن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ يوم قال هذه المقالة، قال: (يا أهل القليب! بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم! كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس،

وقاتلتموني ونصرني الناس). ثم قال: (هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقاً؟) للمقالة التي قال. قال: ولما أمر بهم رسول الله ﷺ أن يُلْقَوْا في القليب، أُخِذَ «عتبة بن ربيعة» فسُحِبَ إلى القليب، فنظر رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ في وجه «أبي حذيفة بن عتبة» فإذا هو كئيب قد تغيَّر لونه، فقال: (يا أبا حذيفة! لعلك دخلك من شأن أبيك شيء!) ـ أو كما قال ﷺ ـ فقال: لا والله! يا نبي الله! ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، حزنني ذلك، قال: فدعا رسول الله ﷺ له بخير، وقال له خيراً.

وهكذا لقي سفهاء قريش، وبغاتها النهاية التي كانوا بها جديرين.
وقال ابن هشام في سيرته: وحدثني «أبو عبيدة» وغيره من أهل العلم بالمغازي أن «عمر بن الخطاب» قال لسعيد بن العاص، ومَرَّ به: إني أراك كأن في نفسك شيئاً، أراك تظن أني قتلت أباك؛ إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي «العاص بن هشام بن المغيرة»، فأما أبوك فإني مررت به، وهو يبحث بحث الثور برَوْقِه ـ الرَّوْق: القَرْن ـ فحدت عنه ـ أي: ملت: وعدلت ـ وقصد له ابن عمه (علي) فقتله.

وكان «عُكَّاشَةُ بن مِحْصَن» قد أبلى يوم (بدر) أحسن البلاء، واستبسل، حتى انقطع صارمه ـ أي: سيفه ـ.

يقول ابن إسحاق: وقاتل «عُكَّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان الأسدي»، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف، يوم (بدر) بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جِذْلاً ـ الجِذْل أصل الشجرة ـ من حَطَب فقال: (قاتل بهذا يا عُكَّاشة)، فلما أخذه من رسول الله ﷺ هَزَّه فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المَتْن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين. وكان ذلك السيف يسمى «العَوْنَ»، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في الردَّة، وهو عنده، قتله (طليحة بن خويلد الأسدي)، فقال «طليحة» في ذلك:

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم ... أليسوا وإن لم يُسْلموا برجال؟
فإن تك أذوادٌ أُصِبْنَ ونسوةٌ ... فلن تذهبوا فِرْغا بقتل حبالِ
نَصَبْتُ لهم صدرَ الحِمَالَةِ إنها ... معاوِدةٌ قِيلَ الكماةِ نَزَالِ
فيوماً تراها في الجِلال مصونةً ... ويوماً تراها غير ذات جِلالِ
عشيةَ غادرتُ ابن أقرمَ ثاوياً ... وعُكَّاشَةَ الغَنْميَّ عند حِجالِ

قال ابن هشام: حِبال: ابن طليحة بن خويلد، وابن أقرم: ثابت بن أقرم الأنصاري.

قال ابن إسحاق: و«عُكَّاشَةُ بن مِحْصَن» الذي قال لرسول الله ﷺ حين قال رسول الله ﷺ: (يدخل الجنة سبعون ألفاً من أمتي على صورة القمر، ليلة البدر)، قال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، قال: (إنك منهم)، أو (اللَّهم! اجعله منهم)، فقام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (سبقك بها عُكَّاشَةُ)، وبَرَدَت الدعوة - أي ثبتت -، ويقال: بَرَدَ لي حق على فلان، أي ثَبَتَ -.

وقال رسول الله ﷺ، فيما بلغنا عن أهله: (منا خير فارس في العرب)، قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: (عُكَّاشَةَ بن مِحْصَن) فقال: «ضرار بن الأزور الأسدي»: ذاك رجل منا يا رسول الله! قال: (ليس منكم ولكنه منا للحِلْفِ).

وقد عَزَّ[1] على «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه خروج ابنه «عبد الرحمٰن» مع المشركين يوم (بدر)، ولم يكن قد أسلم رغم مكان أبيه من رسول الله ﷺ، فلما التقيا في (بدر) قال له: أين مالي يا خبيث؟ فقال «عبد الرحمٰن»:

لم يبق غيرُ شِكَّةٍ ويَعْبُوبْ ... وصارمٌ يقتل ضُلاَّلَ الشِّيبْ

وذكر ذلك ابن هشام فيما ذكر له عبد العزيز بن محمد الدراوردي. وحين شاء الله أسلم «عبد الرحمٰن بن أبي بكر» وأقر الله عين أبيه. ونقل

(١) عَزَّ عليه: شَقَّ.

ابن إسحاق ما قاله «حسان بن ثابت» فيمن ألقوا من المشركين في قليب (بدر)، وذكر قول «حسان» ابن هشام في سيرته[١]، ولم يذكره الطبري:

عرفتُ ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحي في الوَرَق القشيب
تداولُها الرياح وكل جَوْنٍ ... من الوسميِّ منهمرٍ سكوبِ
فأمسى رسمُها خَلَقاً وأمست ... يباباً بعد ساكنها الحبيبِ
فدعْ عنك التذكر كل يومٍ ... ورُدَّ حرارة الصدر الكئيبِ
وخَبِّرْ بالذي لا عيبَ فيه ... بصدقٍ غير إخبار الكذُوبِ
بما صنع المليك غداة بدرٍ ... لنا في المشركين من النصيبِ
غداة كأنَّ جَمْعَهم حِراءٌ ... بدت أركانه جُنْحَ الغُروبِ
فلاقيناهمُ منا بَجَمْعٍ ... كأسْد الغاب مردانٍ وشيبِ
أمام محمد قد وازروه ... على الأعداء في لَفْح الحروبِ
بأيديهم صوارم مرهفاتٌ ... وكل مجرَّب خاظي الكُعوبِ
بنو الأوس الغطارف وازرتها ... بنو النجار في الدين الصليبِ
فغادرنا أبا جهل صريعاً ... وعتبة قد تركنا بالجَبُوبِ
وشيبة قد تركنا في رجالٍ ... ذوي حَسَبٍ إذا نسبوا حسيبِ
يناديهم رسول الله لمَّا ... قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقاً ... وأمر الله يأخذ بالقلوب؟
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا ... صدقت وكنت ذا رأي مصيب[٢]

لقد منح الله تعالى لرسول الله ﷺ وللمؤمنين يوم (بدر) أعظم انتصار، وأنزل بالمشركين أنكى هزيمة وأقسى اندحار، وألحق بهم أفدح خسار!.

وكان مِمَّن قتل في (بدر) فتية من المسلمين، كانوا قد أسلموا، ورسول الله ﷺ بمكة، فلما خرج رسول الله ﷺ منها مهاجراً إلى المدينة حبسهم آباؤهم وأهلوهم بمكة، وفتنوهم ففتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى

(١) ابن هشام: (٢/٢٥١).
(٢) الأبيات في شرح ديوان حسان للبرقوقي (ص ١٤ـ ١٧).

(بدر) حيث لاقوا مصرعهم، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

وهؤلاء الفتية هم: الحارث بن زَمْعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد، من بني أسد بن عبد العُزَّى بن قصي. وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من بني مخزوم، ومن بني جمح: علي بن أمية بن خلف بن حذافة بن جمح، ومن بني سهم: العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم.

ولما أمر رسول الله ﷺ بجمع ما جمعه الناس من النَّفَل اختلف المسلمون فيه، فقال الذين جمعوا: هو لنا، فقد كان رسول الله ﷺ نَفَّل كل امرىء ما أصاب، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونهم: لولا نحن ما أصبتموه فنحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم، وقال من كانوا يحرسون رسول الله ﷺ ويخافون عليه كرة العدو، وإلحاق الأذى به: والله! ما أنتم بأحَقَّ به منا، لقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولَّانا الله، ومنحنا أكتافهم، ورأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكنا خفنا على رسول الله ﷺ كرة العدو، وأن يصل إليه منهم ما يؤذونه أو يكرهه، وهذا ما دعانا لنقوم دونه، ونضع أنفسنا دون نفسه، بغية حمايته، وإرضاء لله ولرسوله ﷺ، فما أنتم بأحقَّ به منا.

وروي عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي ـ واسمه صُدَيُّ بن عجلان ـ فيما قال ابن هشام ـ قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، فقال: فينا ـ أصحابَ بدر ـ نزلت حين اختلفنا في النَّفَل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسوله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بَوَاء ـ يقول: على السواء ـ فكان في ذلك تقوى الله، وطاعة رسوله ﷺ، وصلاح ذات البين.

وبينا رسول الله ﷺ والمسلمون منصرفين عن (بدر)، كان «عثمان بن عفان» رضي الله عنه، في المدينة تفيض عيناه بأغلى العبرات على امرأته «رقية» وقد فارقت الحياة، وكان رسول الله ﷺ قد أمره و«أسامة بن زيد» أن يبقيا إلى جانب فراشها، وقد أنهكها المرض، وثقلت عليها وطأته، واحتمل رسول الله ﷺ وهو قافل بالمسلمين إلى المدينة ما أصاب من النَّفَل من المشركين وجعل عليه «عبد الله بن كعب بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن مازن بن النجار، وتابع مسيره حتى إذا خرج من مضيق الصفراء، نزل على كثيب (سَيَر)، فقسم النَّفَل بين الناس بالسويَّة، واستقى من ماء يقال له (الأرواق)، ثم خرج إلى (الروحاء) فلقيه ناس من المسلمين، وراحوا يهنئونه وأصحابه بما فتح الله عليهم، فقال «سلمة بن سلامة بن وَمَش»: وما الذي تهنئون به؟ فوالله! إنْ ـ أي: ما ـ لقينا إلا عجائز صُلْعاً كالبُدْنِ المُعَقَّلة فنحرناها.

وسمع ذلك رسول الله ﷺ فتبسَّم، وقال: «يا بن أخي! أولئك الملأ) ـ يعني الأشراف والرؤساء ـ، وكان مع رسول الله ﷺ أسرى المشركين، وعدتهم أربعة وأربعون أسيراً بمثل عدد من قتل منهم، وفي الأسرى أشد رجلين إيذاء لرسول الله ﷺ وللمسلمين، وهما «عقبة بن أبي معيط» و«النضر بن الحارث بن كَلَدَة».

وكان رسول الله ﷺ قبل أن يغادر (الصفراء) قد أمر «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه بقتل «النضر بن الحارث» فصدع «علي» بأمر رسول الله ﷺ، وقام إليه فقتله، وأراح المسلمين من أذاه.

ولما بلغ رسول الله ﷺ «عِرق الظبية» أمر «عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح» الأنصاري، أحد بني عمرو بن عوف، بقتل أخبث قريش وأشقاها «عقبة بن أبي معيط» الذي وضع على ظهر رسول الله ﷺ، وهو ساجد عند الكعبة، سلى جزور، فقال «عقبة» حين أمر به رسول الله ﷺ أن يقتل: فمَنْ للصبية يا محمد؟ قال: (النار)، فقام إليه «عاصم» ونفذ فيه أمر رسول الله ﷺ، وكذلك جزاء الظالمين.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من أمر «عقبة» لقيه «أبو هند» مولى «فروة بن عمرو البياضي بحَميتٍ ـ زِقٌّ ـ مملوء حَيْساً ـ طعام مصنوع من السمن والتمر والأقِط ـ وكان قد تخلف عن (بدر)، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان حجَّامه.

وقد أراد رسول الله ﷺ أن يكرمه، فقال لأصحابه: «إنما أبو هند امرؤ من الأنصار، فأنكحوه وأنكحوا إليه»، فنفذوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ، ثم تعجَّل رسول الله ﷺ وجَدَّ في مسيره، حتى بلغ المدينة قبل وصول الأسارى إليها بيوم واحد.

قال محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أسعد بن زرارة، قال: قُدِم بالأسارى حين قدم بهم، وسودة بنت زمعة، زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوِّذ ابني عفراء ـ قال: وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب ـ. قال: تقول سودة: والله! إني لعندهم إذ أُتينا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أُتي بهم، قالت: فَرُحْتُ إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، وإذا «أبو يزيد سهيل بن عمرو» في ناحية الحجرة، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل.

قالت: فوالله! ما ملكت نفسي حين رأيت «أبا يزيد» كذلك أن قلت: يا أبا يزيد! أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراماً! فوالله! ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: (يا سودة! أعلى الله ورسوله تحرّضين؟). قالت: قلت: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق! ما ملكت نفسي حين رأيت «أبا يزيد» مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت.

وفي حديث آخر عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني نبيه بن وَهْب، أخو بني عبد الدار، أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرَّقهم في أصحابه، وقال: (استوصوا بالأسارى خيراً)، قال: وكان «أبو عزيز بن عمير بن هاشم» أخو «مصعب بن عمير» لأبيه وأمه في الأسارى، قال: فقال أبو عزيز: مرَّ بي أخي «مصعب بن عمير» ورجل من الأنصار يأسُرني،

فقال: شُدَّ يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها أن تفتديه منك. قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من (بدر)، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا. ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحني بها، قال: فأستحي، فأردها على أحدهم فيردها عليَّ ما يمسُّها.

وذكر ابن هشام[١]: [وكان «أبو عزيز» صاحب لواء المشركين ببدر بعد «النضر بن الحارث»، فلما قال أخوه «مصعب بن عمير» لأبي اليَسَر، وهو الذي أسره ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي! هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك، فسألت أمه عن أغلى ما فُدِيَ به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم، ففدته بها].

وذكر أبو جعفر الطبري[٢] في تاريخه: قال محمد بن إسحاق: [وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش «الحَيْسُمَان بن عبد الله بن إياس بن ضُبَيْعة بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعي» قال أبو جعفر، وقال الواقدي: «الحيسمان بن حابس الخزاعي»، قالوا: ما وراءك؟ قال: قتل «عتبة بن ربيعة» و«شيبة بن ربيعة» و«أبو الحكم بن هشام» و«أمية بن خلف» و«زمعة بن الأسود» و«أبو البَخْتَرِي بن هشام» و«نُبَيْه» و«مُنَبِّه» ابنا الحجاج، قال: فلما جعل يعدد أشراف قريش، قال «صفوان بن أمية» وهو قاعد في الحِجْر: والله! إن يعقل هذا فسلوه عني. قالوا: ما فعل «صفوان بن أمية؟» قال: هو ذاك جالساً في الحجر، وقد والله! رأيت أباه وأخاه حين قتلا. وقال أبو جعفر[٣] رحمه الله تعالى: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولى

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٥٧).
(٢) تاريخ الطبري (٢/٤٦١).
(٣) تاريخ الطبري (٢/٤٦١).

رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمتْ «أم الفضل» وأسلمتُ، وكان «العباس» يهاب قومه، ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مالٍ كثير، متفرِّق في قومه، وكان «أبو لهب» عدو الله قد تخلَّف عن (بدر)، وبعث مكانه «العاص بن هشام بن المغيرة» وكذلك صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبته ـ أي: أذلَّه ـ الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزًّا.

قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القداح، أنحتها في حجرة «زمزم». فوالله! إني لجالس فيها أنحت القِداح، وعندي «أم الفضل» جالسة، وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق «أبو لهب» يجرُّ رجليه بِشَرٍّ، حتى جلس على طُنْب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا «أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب» قد قدم، قال: فقال أبو لهب: هَلُمَّ إليَّ يا بن أخي! فعندك الخبر، قال: فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي! أخبرني، كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء، والله! إنْ كان ـ أي: ما كان ـ إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا، يقتلوننا، ويأسرون كيف شاءوا، وايم الله! مع ذلك، ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض، ما تَلِيقُ ـ أي: ماتُبْقِي ـ شيئاً ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع: فرفعتُ طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك الملائكة. قال: فرفع «أبو لهب» يده، فضرب وجهي ضربة شديدة، قال: فثاورته ـ أي: وثبت إليه ـ فاحتملني، فضرب بي الأرض، ثم برك عليَّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت «أم الفضل» إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته، فضربته به ضربةً فشجت[1] في رأسه شجة منكرة، وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده! فقام مُوَلِّياً ذليلاً، فوالله! ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله عَزَّ وجلَّ بالعَدَسَة ـ وهي

(١) فشجَّت: عند ابن هشام: فَلَعَتْ: شَقَّت.

قَرْحة قاتلة كالطاعون ـ فقتلته. فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنتن في بيته، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما! ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تُغيِّبانه! فقالا: إنا نخشى هذه القَرْحة، قال: فانطلِقا وأنا معكما، فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد، ما يمسُّونه، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه.

نعم! إنها لنهاية شنيعة ختمت بها حياته الدنيا، ولعمري! إن النار ذات اللهب التي أوعده بها الله تعالى في الآخرة لهي أعظم وأنكى بما كسبت يداه، وبإيذائه لرسول الله ﷺ.

والحق! أن (بدراً) كانت ضربة موجعة لقريش ناءت بها ظهور رجالها، وضاق صبرهم واحتمالهم، وخارت لها عزائمهم، حتى لا ترى منهم جَلْداً إلا وعيناه تذرفان[1] بأغزر الدموع، وناحت قريش على قتلاها، ثم تنادوا إلى الكف عن ذلك، حتى لا يشمت المسلمون بهم، ويفرحوا بالحال التي آلوا إليها من المذلة والهوان.

ثم أجمعوا أمرهم على التريث في فداء الأسرى لئلا يأربَ ـ أي: يشتدَّ ـ عليهم رسول الله ﷺ وأصحابه في الفداء.

وكان «الأسود بن المطلب» قد أصيب له ثلاثة من ولده: «زمعة بن الأسود» و«عقيل بن الأسود» و«الحارث بن الأسود»، وكان يحب أن يبكي على بنيه، فبينا هو كذلك، إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له ـ وقد ذهب بصره ـ: انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ؟ هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلِّي أبكي على «أبي حكيمة» يعني: زمعة ـ فإن جوفي قد احترق! قال: فلما رجع إليه الغلام، قال: إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلَّته. قال:

أتبكي أن يضل لها بعيرٌ ... ويَمنعها من النَّوم السُّهودُ
فلا تبكي على بَكْر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدودُ

(١) تذرفان: تسكبان.

على بدر سَراة بني هُصَيْص ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبَكِّي إن بكيتِ على عقيلٍ وبَكِّي حارثاً أسد الأسودِ
وبكيهم ولا تَسَمِي جميعاً فما لأبي حكيمة من نديدِ
ألا قد ساد بعدهم رجال ولولا يوم بدر لم يَسودوا

يقصد أن بنيه هم الأسياد قبل يوم (بدر)، فلما قتلوا في (بدر) آلت السيادة إلى سواهم. وكان بين الأسرى رجل يقال له: «أبو وداعة بن ضبيرة السهمي، فقال النبي ﷺ: (إن له ابناً تاجراً كيِّساً ذا مال، وكأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه!)، فلما قالت قريش: لا تعجلوا في فداء أسراكم لئلا يأرب عليكم «محمد» وأصحابه، قال «المطلب بن أبي وداعة» ـ الذي عناه رسول الله ﷺ بقوله آنفاً ـ: صدقتم، لا تعجلوا بفداء أسراكم، ثم انسلَّ من الليل، فقدم المدينة، وافتدى أباه بأربعة آلاف درهم، ثم انطلق به. ثم بعثت قريش في فداء أسراها.

وجاء «مِكْرَزُ بن حفص بن الأخيف» في فداء «سهيل بن عمرو» الذي أسره «مالك بن الدُّخْشُم» أخو بني سالم بن عوف، فقال:

أسرتُ سهيلاً فلا أبتغي أسيراً به من جميع الأُمَمْ
وخندف تعلم أن الفتى فتاها سهيلٌ إذا يُظَّلَمْ
ضربتُ بذي الشَّفْر حتى انثنى وأكرهت نفسي على ذي العَلَمْ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدُّخْشُم، والله أعلم.

وكان «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه، قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! دعني أَنْزِعْ ثنيَّتَيْ «سهيل بن عمرو» يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً، فقال رسول الله ﷺ: (لا أُمثِّل به فيُمثِّل الله بي، وإن كنت نبيًّا).

قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا الحديث: (إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمُّه). فلما قاولهم فيه «مِكْرَز» وانتهى إلى رضاهم، قالوا: هات الذي لنا، قال: اجعلوا رِجْلي مكان

رِجْله، وخلُّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، قال: فخلُّوا سبيل «سهيل»، وحبسوا «مِكْرَزا» مكانه عندهم. فقال مِكْرَز:

فـدِيـت بـأذواد ثـمـانٍ سِـبَـا فَـتًى ... يـنـال الـصـمـيـمَ غُـرْمُـهـا لا الـمـوالـيـا
رهـنـت يـدي والـمـال أيـسـر مـن يـدي ... عـلـيَّ ولـكـنـي خـشـيـتُ الـمـخـازيـا
وقـلـت سـهـيـل خـيـرنـا فـاذهـبـوا بـه ... لأبـنـائـنـا حـتـى نـديـر الأمـانـيـا

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمِكْرَز

قال محمد بن إسحاق: فحدثني الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة بن مقْسَم، عن ابن عباس، قال: كان الذي أسر «العباسَ» أبو اليَسَر كعب بن عمرو أخو بني سلمة، وكان «أبو اليَسَر» رجلاً مجموعاً، وكان «العباس» رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليَسَر: (كيف أسرت العباس يا أبا اليَسَر؟) فقال: يا رسول الله! لقد أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا، قال رسول الله ﷺ: (لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم).

وروى محمد بن إسحاق، وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن عبد الله بن عباس، قال: لما أمسى القوم من يوم بدر، والأسارى محبوسون في الوثاق، بات رسول الله ﷺ ساهراً أول ليلة، فقال أصحابه: يا رسول الله! مالك لا تنام؟ فقال: (سمعتُ تَضوُّر العباس في وَثَاقه) قال: فقاموا إلى العباس فأطلقوه، فنام رسول الله ﷺ.

ولا غَرْوَ ـ ولا عَجَبَ ـ في ذلك، أليس هو نبي الرحمة، الذي أرسله الله تعالى رحمه للعالمين؟

وكان بين الأسرى «عمرو بن أبي سفيان بن حرب» فقيل لأبي سفيان: افْدِ «عَمْراً» ابنَك، قال: أَيُجْمَعُ عليَّ دمي ومالي؟ قتلوا حنظلة، وأفدي عَمراً؟ دعوه في أيديهم يمسكوه[1] ما بدا لهم، وفيما هو كذلك أسير في

(١) يمسكوه: يحبسوه.

المدينة، خرج «سعد بن النعمان بن أَكَّال»، أخو بني عمرو بن عوف، ثم أحد بني معاوية معتمراً مع امرأته، وكان شيخاً مسلماً، في غنم له بالنَّقِيع، فخرج من هنالك معتمراً، ولا يخشى ما يصنع به، لأنه لم يكن يظن أن يحبس بمكة إذا جاء معتمراً، ولم يعهد قريشاً تعرض لأحد من الحجاج والمعتمرين إلا بخير، لكن (أبا سفيان) أخلف ظنه، فعدا عليه، وحبسه بابنه «عمرو»، ثم قال أبو سفيان:

أرهطَ بني أَكَّال أجيبوا دعاءه ... تعاقدتم لا تسلموا السيد الكَهْلا
فإن بني عمرو لئام أذلةٌ ... لئن لم يفكُّوا عن أسيرهم الكَبْلا

فأجابه «حسان بن ثابت» بقوله:

لو كان سعد يوم مكة مطلقاً ... لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا
بعضب حسام أو بصفراء نبعةٍ ... تَحِنُّ إذا ما أنبضت تحفز النبلا

ومشى بنو «عمرو بن عوف» إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره، وسألوه أن يعطيهم «عمرو بن أبي سفيان» فيفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ، فبعثوا به إلى «أبي سفيان» فخلى سبيل «سعد».

وكان «العاص بن الربيع» خَتَن رسول الله ﷺ، زوج ابنته «زينب» رضي الله عنها ـ قد خرج مع قريش، وأسره المسلمون، وهو أحد رجال مكة المعدودين، مالاً وتجارة وأمانة.

وكانت «رقية» و«أم كلثوم» شقيقتا «زينب» رضي الله عنهن مخطوبتين لعتبة وعتيبة ابني (أبي لهب) عم رسول الله ﷺ، ولما دعا رسول الله ﷺ قومه إلى عبادة الله وحده، ونبذ الأصنام التي كانوا عاكفين على عبادتها من دون الله، وجدت قريش أن أشد ما تسيء به إلى رسول الله ﷺ أن ترد عليه بناته الثلاث ـ رضي الله عنهن ـ فمشوا إلى «أبي العاص» وقالوا له: فارق صاحبتك، ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت. قال أبو العاص: لا والله! إني لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش، فكان رسول الله ﷺ يثني على صهره خيراً.

ثم مشوا إلى «عتبة بن أبي لهب» فقالوا له: طلق بنت «محمد» ونحن نكحك أي امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوجتموني بنت أبان بن سعد بن العاص» أو بنت «سعيد بن العاص» فارقتها، فزوجوه بنت «سعيد بن العاص»، وفارق «رقية» بنت رسول الله ﷺ، قبل أن يدخل بها، فأخرجها الله من يده، كرامة لها، وهواناً له، فتزوجها «عثمان بن عفان» رضي الله عنه.

وعرضوا على «عتيبة بن أبي لهب» ما عرضوه على أخيه «عتبة» فأجابهم إلى طلبهم، ولم يكتف بطلاق «أم كلثوم» بل ذهب إلى أبيها رسول الله ﷺ ولاقاه بما يكره، وأمعن في الإساءة إليه، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه، فجاءه الأسد، وهو نائم بين أصحابه وراح يتشممهم واحداً واحداً حتى قام على «عتيبة» فضربه ففلق رأسه، ثم تزوج «عثمان» من «أم كلثوم» بعد وفاة أختها «رقية» فلقب بذي النورين، لأنه أغلق بابه على ابنتي نبي.

وأسلمت «زينب» مع أمها وأخواتها، لكنها ظلت في مكة مع زوجها «أبي العاص» وهو مقيم على شركه، وهاجر جميع أهلها إلى المدينة.

ولما جاء يوم (بدر) خرج «أبو العاص بن الربيع» مع قريش، وهو لا يرغب في قتال رسول الله ﷺ، ووقع أسيراً في أيدي المسلمين. حتى إذا أرادت قريش أن تبعث إلى رسول الله ﷺ بفداء أسراها، دَسَّت «زينب» في فداء «أبي العاص» زوجها، قلادة كانت أهدتها إليها سيدة النساء، الطاهرة «خديجة» عشية زفافها على «أبي العاص»، ولما عرض الفداء على رسول الله ﷺ ورأى القلادة عرفها فَرَقَّ لها رقة شديدة، وقال: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها مالها، فافعلوا)، فقالوا: نعم، يا رسول الله! فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها. وكان رسول الله ﷺ[1] قد أخذ عليه ـ أو وعد رسول الله ﷺ أن يخلي سبيل «زينب» إليه، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه، ولا من رسول الله ﷺ، فيعلم

(١) انظر تاريخ الطبري: (٢/٤٦٩) وسيرة ابن هشام: (٢/٢٦٤).

ما هو! إلا أنه لما وصل «أبو العاص» إلى مكة، بعد أن خُلِّيَ سبيله، بعث رسول الله ﷺ «زيد بن حارثة» ورجلاً من الأنصار وقال لهما: (كونا ببطن يَأْجَج، حتى تمر بكما زينب فتصحباها، حتى تأتياني بها) وكان خروجها بعد شهر من (بدر) أو قريباً منه.

ولما دخل «أبو العاص» بيته أسرعت إليه «زينب» لتسلم عليه، فإذا هو ينحيها عنه ويأمرها أن تلحق بأبيها لأن الإسلام فرَّق بينهما، وأخذت «زينب» تجهز نفسها للرحيل. وبينا هي تتأهب لذلك لقيتها «هند بنت عتبة» فقالت لها: أيْ ابنة محمد! ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك؟

قال زينب: ما أردت ذلك، قالت: أي ابنة عمي لا تفعلي، إن كانت لك حاجة بمتاعٍ مما يلزمك في سفرك، أو بمال يبلغك إلى أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تستحي مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال. قالت: ووالله! ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، ولكني خفتها، فأنكرتُ أن أكون أريد ذلك، وتجهَّزت. وأمر «أبو العاص» أخاه «كنانة بن الربيع» بمرافقتها، فحمل قوسه وكنانته، وخرج بها نهاراً يقود بها، وهي في هودج لها. وعلمت قريش بذلك فجدوا في طلبها، وكان أول من سبق إليها سفيهان هما «هبار بن الأسود» و«نافع بن عبد القيس الفهري»، فروَّعها «هبار» برمحه، وهي في هودجها، وكانت حاملاً ـ كما زعموا ـ فلما رجعت طرحت حملها فنثر حموها «كنانة» كنانته، وقال: والله! لا يدو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فتركوه ورجعوا خائبين.

وجاءه «أبو سفيان» في جلَّةٍ من قريش، فقال: أيها الرجل! كُفَّ عنا نبلك حتى نكلمك، فكفَّ، فأقبل «أبو سفيان» حتى وقف عليه، فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من «محمد»، فيظن الناس إذا خرجتَ بابنته علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا، أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا ونكبتنا التي كانت، وأن ذلك ضعف منا ووهن. لعمري ما لنا حاجة في حبسها عن أبيها، وما لنا في ذلك ثُؤرة، ولكن ارجع بالمرأة، فإذا هدأ

الصوت، وتحدث الناس أنا قد رددناها، فَسُلَّها سراً، وألحقها بأبيها، ففعل.

ولما هدأت الأصوات خرج بها ليلاً، حتى أسلمها إلى «زيد بن حارثة» وصاحبه، فقدما بها على رسول الله ﷺ.

ولما علمت «هند بنت عتبة» بما جرى لزينب أبدت اشمئزازها وامتعاضها مما صنع الذين خرجوا في طلبها، فقالت:

أفي السلم أعيار جفاءً وغلظةً ... وفي الحرب أشباه النساء العوارك[1]

وقال حموها «كنانة بن الربيع»:

عجبتُ لهبَّار وأوباش قومه ... يريدون إخفاري ببنت محمَّدِ

ولست أبالي ما حييت عديدهم ... وما استجمعت قَيْضاً يدي بالمهنَّدِ

وأمر رسول الله ﷺ أصحابه إذا ظفروا بالرجلين اللذين روَّعا ابنته «زينب» وهما «هبار» و«نافع» أن يحرقوهما بالنار، فلما كان من الغد بعث إلى أصحابه فقال: (إني كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما). وفَرَّق الإسلام بين الزوجين الحبيبين، ولئن أجاز للرجل المسلم أن يتزوج امرأة من أهل الكتاب نصرانية أو يهودية، فقد حظر على المرأة المسلمة أن تتزوج رجلاً من أهل الكتاب نصرانياً أو يهودياً، ولكن هل يصبر «أبو العاص» على فراق ابنة خالته التي أحبَّ؟ وهل يستطيع نسيان لحظات السعادة التي جمعتهما تحت سقف واحد؟ وكيف ينسى أجمل الذكريات والأشعار التي عَبَّر بها لها عن مكنونات فؤاده تجاهها؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة تحتاج إلى أن يفكر ملياً، ويدرس أحاسيسه بعمق وتؤدة، ومن أولى بذلك وأجدر؟ من شاعرٍ رقيق غَزِلٍ، ذي حِسٍّ، رهيفٍ! كأبي العاص بن الربيع!

---

(١) العوارك: الحُيَّض.

أقام «أبو العاص» في مكة، وامرأته الحبيبة «زينب» مع أبيها في المدينة، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وما دام فراقهما قد تم بقضاء الله وحكمه، فقد استسلمت «زينب» لهذه المشيئة التي لا ترد، حتى إذا اقترب فتح مكة، انطلق «أبو العاص» في تجارته المعتادة إلى الشام بمال له ولبعض رجال قريش الواثقين بأمانته ونزاهته. وفي طريق العودة اعترضته سرية لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه من المال، وأعجزهم هارباً، وعادت السرية بما أصابت من الغنيمة إلى المدينة، وأما «أبو العاص» فقد دخل المدينة متخفياً تحت جنح الظلام، ثم قصد «زينب» مستجيراً بها، فأجارته، ولما كبَّر رسول الله ﷺ والمسلمون معه لصلاة الصبح، صرخت «زينب» صرخة قوية من صُفَّة النساء، وقالت: أيها الناس! إني قد أجرت «أبا العاص بن الربيع». فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته أقبل على الناس، فقال: (أيها الناس! هل سمعتم ما سمعت؟) قالوا: نعم، قال: (أما والذي نفس محمد بيده! ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم)، ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته، فقال: (أي بنية! أكرمي مثواه، ولا يخلُصْ إليك، فإنك لا تحلين له).

وذكر عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية التي أصابت مال «أبي العاص» فقال لهم: (إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به)، فقالوا: يا رسول الله! بل نرده عليه، فردُّوه عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالدَّلْوِ، ويأتي الرجل بالشَّنَّة ـ السقاء البالي ـ وبالإداوة ـ وعاء صغير من الجلد يحفظ فيه ماء الشرب ـ حتى إن أحدهم ليأتي بالشِّظَاظِ ـ خشبة معقوفة تدخل في عروتي الجوالق ـ حتى ردُّوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً، ثم احتمل إلى مكة، فأدَّى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ومن كان أبضع معه، ثم قال:

يا معشر قريش! هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله! ما منعني من الإسلام عنده! إلا تخوف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغتُ منها أسلمتُ، ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ. فلما أتاه ردَّ عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح الأول، لم يحدث شيئاً، وكان ذلك بعد فراق دام ست سنين.

وذكر ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ عن أبي عبيدة: أن «أبا العاص بن الربيع» لما قدم من الشام، ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي.

وسمَّى ابن هشام بعض المشركين الذين مَنَّ عليهم رسول الله ﷺ وأطلقهم من الأسر بدون فداء، فكان من بني عبد شمس بن عبد مناف: «أبو العاص بن الربيع» وكانت «زينب» قد بعثت بفدائه فخُلِّي سبيله، ورد عليه الفداء.

ومن بني مخزوم بن يقظة: «المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيدة بن عمر بن مخزوم» كان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلَّوا سبيله، فلحق بقومه. وقد أسره (خالد بن زيد، أبو أيوب الأنصاري)، أخو بني النجار.

و«صيفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم» ترك في أيدي أصحابه، فلما لم يأت أحد في فدائه أخذوا عليه ليبعثَنَّ إليهم بفدائه، فخلَّوْا سبيله، فلم يف لهم بشيء، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

وما كان صيفيٌّ ليوفيَ ذِمَّةً ... قفا ثعلبٍ أعيا ببعض الموارد

و(أبو عَزَّة، عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أُهَيْب بن حذافة بن جُمَح)، كان محتاجاً ذا بنات، فكلم رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله!

لقد عرفت ما ليَ من مال، وإني لذو حاجة، وذو عيال، فامْنُنْ عليَّ، فمَنَّ عليه رسول الله ﷺ، وأخذ عليه ألاَّ يظاهر ـ أي: يعاون ـ عليه أحداً، فقال «أبو عزة» في ذلك، يمدح رسول الله ﷺ، ويذكر فضله في قومه:

ومَنْ مُبْلِغٌ عني الرسول محمداً ... بأنك حق والمليك حميدُ
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى ... عليك من الله العظيم شهيدُ
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة[1] ... لها درجاتٌ سهلة وصُعودُ
فإنك من حاربته لمحاربٌ ... شقيٌّ ومن سالمته لسعيدُ
ولكن إذا ذُكِّرْتُ بدراً وأهله ... تأوَّب[2] ما بي: حَسْرَةٌ وقُعودُ

وكان فداء المشركين يومئذٍ أربعة آلاف درهم للرجل إلى ألف درهم، ومن لم يكن له مال أو شيء مَنَّ رسول الله ﷺ عليه.

وذكر محمد بن إسحاق، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة: (ياعباس! افْدِ نفسك وابني أخويك: عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو بن جَحْدَم، أخا بني الحارث بن فهر، فإنك ذو مال)، فقال: يا رسول الله! إني كنت مسلماً، ولكن القوم استكرهوني، فقال: (الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافْدِ نفسك) ـ وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أُوقية من ذهب ـ فقال العباس: يا رسول الله! احسبها لي في فدائي، قال: (لا، ذاك شيء أعطانا الله عَزَّ وجلَّ منك) قال: فإنه ليس لي مال، قال: (فأين المال الذي وضعته بمكة حيث خرجتَ من عند «أم الفضل بن الحارث» ليس معكما أحد؟ ثم قلت لها: إن أصبتُ في سفري هذا فللفضل كذا وكذا، ولعبد الله كذا وكذا، ولِقُثَم كذا وكذا، ولعبيد الله كذا وكذا!).

---

(١) بوئت فينا مباءة: نزلت فينا منزلة.
(٢) تَأَوَّبَ: رجع.

قال: والذي بعثك بالحق! ما علم هذا أحد غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله، ففدى «العباس» نفسه وابني أخيه وحليفه. وبينا كانت قريش غارقة في أحزانها على من فقدت من الأحبة والأصحاب، جلس «عمير بن وهب الجمحي» و«صفوان بن أمية» الذي فقد أباه وأخاه في بدر، جلسا في الحِجْر يتحدثان، وكان «عمير بن وهب» شيطاناً من شياطين قريش، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه منذ كانوا بمكة، وقد وقع ابنه «وهب» في الأسر، وجرى الحديث عن أصحاب القليب ومصيبة بدرٍ برُمَّتها، فقال «صفوان»: والله! إنْ ـ أي: ما ـ في العيش خير بعدهم، فقال عمير: صدقت، والله! أما والله! لولا دين عليَّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى «محمد» حتى أقتله، فإنَّ لي قبلهم عِلَّةً، ابني أسير في أيديهم. ووجدها «صفوان» فرصة فريدة ما ينبغي له أن يضيِّعها، فقال: عليَّ دينك أنا أقضيه، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا على قيد الحياة، لا يسعني شيء ويعجز عنهم. قال عمير: فاكتم شأننا، قال: أفعل. وافترقا، ثم شحذ «عمير» سيفه وسمه، ثم ركب طريق المدينة حتى بلغها.

وكان «عمر بن الخطاب» جالساً يتحدث مع بعض المسلمين عن يوم (بدر)، وما أكرمهم به الله تعالى من النصر، وما أراهم في عدوهم، ونظر «عمر» من مجلسه إلى «عمير» وهو ينيخ راحلته على باب المسجد، وهو متوشح بسيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله «عمير بن وهب»، ما جاء إلا لشر! وهو الذي حرش بيننا، وحَزَرنا للقوم يوم (بدر)، ثم دخل «عمر» على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله! هذا عدو الله! «عمير بن وهب» قد جاء متوشحاً سيفه، قال: (فأدخله عليَّ).

وأقبل «عمر» على «عمير» حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه، فَلَبَبَهُ بها، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا هذا الخبيث عليه، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ. فلما رآه رسول الله ﷺ، و«عمر» آخذ بحمالة سيفه،

قال: (أرسله يا عمر! ادْنُ يا عمير!)، فدنا، ثم قال: أنعموا صباحاً ـ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله ﷺ: (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك، يا عمير! بالسلام، تحية أهل الجنة) قال: أما والله! يا محمد! إن كنت لحديثَ عهد بها. قال: (ما جاء بك يا عمير؟) قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه. قال: (فما بالُ السيف في عنقك؟) قال: قبَّحها الله من سيوف! وهل أغنت شيئاً؟ قال: (اصدقني بالذي جئت له) قال: ما جئت إلا لذلك.

فقال: (بلى! قعدتَ أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دَيْنٌ عليَّ وعيالي لخرجتُ حتى أقتل محمداً، فتحمَّل لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله ﷻ حائل بيني وبينك)، فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله! نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله! إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم تشهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: (فقِّهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه وعَلِّموه القرآن، وأطلقوا له أسيره)، ففعلوا.

ولما أراد «عمير» أن ينقلب إلى قومه بمكة، قال: يا رسول الله! إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وإني أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، لعل الله أن يهديهم! وإلا آذيتهم في دينهم، كما كنت أوذي أصحابك في دينهم. فأَذِن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة، وكان «صفوان» حين خرج «عمير» يقول لقريش: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة (بدر)، وكان يسأل الركبان عن «عمير» حتى قدم رجل فأخبره بإسلامه، فحلف ألا يكلمه ولا ينفعه بشيء أَبَتَّةَ. وراح «عمير» يدعو الناس إلى الإسلام، وينزل الأذى بمن خالفه، حتى أسلم على يديه خلق كثير.

وكان الشيطان قد تمثَّل بصورة «سراقة بن مالك» فلبَّس على قريش

أمرها، واستدرجها لقتال المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] وراح يوسوس لهم ويلقي في روعهم أنهم لا يغلبون لكثرة عَدَدهم وعُدَدهم لاتباعهم إياه، حتى قالوا: اللهم! انصر أهدى الفئتين، وأفضل الدينين، لشدة وسوسته لهم، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ والتقى المشركون بالمؤمنين، ورأى عدو الله الملائكة، وقد جاءوا مددًا «لرسول الله ﷺ» والمؤمنين ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ﴾ للمشركين: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وكان عدو الله صادقاً في هذا القول لأن المشركين لم يكونوا يرون الملائكة؛ ثم قال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ وهو كاذب، لأنه لو كان صادقاً لالتزم بما أمره الله به وامتنع عن إغواء عباده والوسوسة لهم، ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وهكذا أوردهم بوسوسته (بدراً) ثم أسلمهم وألقى بهم إلى التهلكة.

وقال حسان بن بت يفخر ويذكر تغرير إبليس بقريش[1]:

قومي الذين هُمُ آووا نبيهمُ ... وصدقوه وأهل الأرض كفارُ
إلا خصائصَ أقوام هُمُ سُلَفٌ ... للصالحين مع الأنصار أنصارُ
مستبشرين يَقُسِم الله قولُهم ... لما أتاهم كريم الأصل مختارُ
أهلاً وسهلاً ففي أمنٍ وفي سعةٍ ... نعم النبيُّ ونعم القَسْمُ والجارُ
فأنزلوه بدارٍ لا يُخَافُ بها ... من كان جارَهم داراً هي الدارُ
وقاسموه بها الأموا إذ قدموا ... مهاجرين وقَسْم الجاحد النارُ
سرنا وساروا إلى بدرٍ لِحَيْنِهمُ ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دَلاَّهم بغُرورٍ ثم أسلمهمْ ... إن الخبيث لمن والاه غَرَّارُ
وقال إني لكم جارٌ فأوردهم ... شر الموارد فيه الخزي والعارُ
ثم التقينا فَولَّوْا عن سَراتهمُ ... من منجدين ومنهم فرقة غاروا

لقد أحسن «حسان» وأجاد، فحكى عن الأنصار بما فيهم، فما غالى

(١) الأبيات في سيرة ابن هشام: (٢/٢٧٥). ولم يذكرها الطبري في تاريخه.

ولا زاد، ووصف الشيطان وأتباعه بالجحود والفساد، والبعد عن سبيل الهدى والرشاد، وكأنهم لم يسمعوا قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]!.

أما الذين حضروا من المسلمين يوم (بدر) فقد ذكرهم ابن هشام[1] عن ابن إسحاق، قال: وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين، ثم من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مناف، وبني المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

ـ «محمد» رسول الله ﷺ سيد المرسلين، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. و«حمزة بن عبد المطلب بن هاشم» أسد الله، وأسد رسوله، عم رسول الله ﷺ، و«علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم»، و«زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس الكلبي، أنعم الله عليه ورسوله ﷺ. قال ابن هشام: «زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدُ ودٍّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد الله بن رُفَيْدة بن ثور بن كعب بن وبرة.

قال ابن إسحاق: وأَنَسَةُ مولى رسول الله ﷺ، وأبو كبشة مولى رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: أَنَسَة حبشي، وأبو كبشة: فارسي.

قال ابن إسحاق: وأبو مَرْثَد كَنَّاز بن حصن بن يربوع بن عمر بن يربوع بن خَرَشة بن سعد بن طريف بن جلاَّن بن غنْم بن غَنِيّ بن يَعْصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان.

قال ابن هشام: كَنَّاز بن حصين.

---

(١) سيرة ابن هشام: (٢/٢٨٩).

قال ابن إسحاق: وابنه مرثد بن أبي مرثد، حليفا حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخواه الطفيل بن الحارث، والحصين بن الحارث، ومِسْطَح، واسمه عوف بن أُثاثة بن عباد بن المطلب، اثنا عشر رجلاً.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تخلَّف ـ بأمر رسول الله ﷺ ـ على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، قال: وأجري يا رسول الله! قال: (وأجرُك)، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وسالم مولى أبي حذيفة. قال ابن هشام: واسم أبي حذيفة: مِهْشَم. قال أبو ذر: اسم أبي حذيفة هذا قيس، وأما مِهْشم فهو أبو حذيفة بن المغيرة بن عبد الله، أبو محمد بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وزعموا أن صبيحاً مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تجهز للخروج مع رسول الله ﷺ، ثم مرض، فَحَمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وشهد بدراً من حلفاء بني عبد شمس، ثم من بني أسد بن خَزَيمة: عبد الله بن جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد، وعُكَّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قيس بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد، وشجاع بن وَهْب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وأخوه عقبة بن وهْب، ويزيد بن رُقَيْش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد، وأبو سنان بن مِحْصن بن حُرْثان بن قيس، أخُو عُكَّاشة بن محصن، وابنه سنان بن أبي سنان، ومُحْرِز بن نَفْلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد، وربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد.

ومن حلفاء بني كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد! ثَقْف بن عمرو، وأخواه مالك بن عمرو، ومُدْلج بن عمرو، قال ابن هشام: مِدْلاج بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وهم من بني حَجْر، آل بني سليم، وأبو مَخْشي، حليف لهم. ستة عشر رجلاً.

قال ابن هشام: أبو مَخْشي: طائي، واسمه: سُوَيْد بن مَخْشي.

قال ابن إسحاق: ومن بني نَوْفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر بن وَهْب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان، وخَبَّاب، مولى عُتْبَة بن غَزْوان - رجلان. ومن بني أسد بن عبد العِزَّى بن قُصَيٍّ: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، وحاطب بن أبي بَلْتعَة، وسعد مولى حاطب، ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: حاطب بن أبي بَلْتَعَة، واسم أبي بَلْتَعَةَ: عمرو، لخمي، وسعد مولى حاطب، كلبي.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ، وسُوَيبط بن سعد بن حُرَيملة بن مالك بن عُمَيلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار بن قُصَيٍّ - رجلان.

ومن بني زُهْرَة بن كلاب: عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة، وسعد بن أبي وقاص - وأبو وقاص، مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة، وأخوه عمير بن أبي وقاص.

ومن حلفائهم: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثُمَامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثَوْر بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هَزْل بن قائش بن دُرَيْم بن القين بن أهْوَد بن بَهْراء بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هزل بن قاس بن ذَرٍّ - ودَهِير بن ثور.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شَمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزَّى بن حمالة بن غالب بن محلِّم بن عائذة بن سُبَيْع بن الهون بن خُزَيمة، من القارة.

قال ابن هشام: القارة: لقب لهم، ويقال: قد أنصف القارة من راماها، وكانوا رماة.

قال ابن إسحاق: وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نَفْلَةَ بن غُبْشَان بن سُلَيْم بن مَلْكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، من خُزَاعة.

قال ابن هشام: وإنما قيل له: ذو الشمالين، لأنه كان أعسر، واسمه عُمَيْر.

قال ابن إسحاق: وخَبَّابُ بن الأَرَت، ثمانية نفر، قال ابن هشام: خَبَّاب بن الأَرَتّ، من بني تميم، وله عقب، وهم بالكوفة، ويقال: خَبَّاب بن خزاعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني تيم بن مُرَّة: أبو بكر الصديق، واسمه عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

قال ابن هشام: اسم أبي بكر: عبد الله، وعتيق: لقب، لحسن وجهه وعتقه.

قال ابن إسحاق: وبلال، مولى أبي بكر ـ وبلال مولَّد من مولَّدي بني جُمَح، اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف، وهو بلال بن رباح لا عقب له. وعامر بن فُهَيْرة، قال ابن هشام: عامر بن فُهَيْرة، مولَّد من مولَّدي الأَسْد، أسود، اشتراه أبو بكر منهم.

قال ابن إسحاق: وصُهَيْب بن سنَان، من النَّمر بن قاسط.

قال ابن هشام: النمر بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أفْصَى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسد بن

ربيعة بن نزار، ويقال: صهيب، مولى عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، ويقال: إنه رومي. فقال بعض من ذكر: إنه من النَّمر بن قاسط: إنما كان أسيراً في الروم فاشْتُري منهم، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: (صهيب سابق الروم).

قال ابن إسحاق: وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، كان بالشأم، فقدم بعد أن رجع رسول الله ﷺ من بدر، فكلمه، فضرب له بسهمه، فقال: وأجري يا رسول الله! قال: (وأجرك) خمسة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرَّة: أبو سلمة بن عبد الأسد، واسم أبي سلمة: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وشَمَّاس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هَرْميّ بن عامر بن مخزوم. قال ابن هشام: واسم شَمَّاس: عثمان، وإنما سمي شَمَّاساً، لأن شَمَّاساً من الشمامسة، قدم مكة في الجاهلية، وكان جميلاً، فعجب الناس من جماله، فقال عتبة بن ربيعة، وكان خالَ شَمَّاس: ها أنا آتيكم بشَمَّاس أحسن منه، فأتى بابن أخته عثمان بن عثمان، فسُمِّي شماساً، فيما ذكر ابن شهاب الزُّهْري وغيره.

قال ابن إسحاق: والأرقم بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم: عبد مناف بن أسد، وكان يكنى أبا جُنْدَب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعمار بن ياسر. قال ابن هشام: عمار بن ياسر، عَنْسِيٌّ من مَذحِج.

قال ابن إسحاق: ومُعَتِّب بن عوف بن عامر بن الفَضْل بن عفيف بن كُلَيْب بن حُبْشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو، حليف لهم من خُزَاعة، وهو الذي يُدعى: عَيْهامَة. خمسة نفر.

ومن بني عدي بن كعب: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن ح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِيٌّ، وأخوه زيد بن الخطاب، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب، من أهل اليمن، وكان أول قتيل من

المسلمين بين الصفين يوم بدر، رُمِيَ بسهم. قال ابن هشام: مِهْجَع بن عَكٍّ بن عدنان.

قال ابن إسحاق: وعمرو بن سُرَاقة بن المعتمر بن أنس بن أَدَاة بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رَزَاح بن عدي بن كعب، وأخوه عبد الله بن سراقة، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، حليف لهم، وخَوْلي بن أبي خَولي، ومالك بن أبي خَوْلي حليفان لهم. قال ابن هشام: أبو خَوْلي، من بني عَجْل بن لُحَيْم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وعامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب، من عنز بن وائل.

قال ابن هشام: عَنز بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة.

قال ابن إسحاق: وعامر بن البُكَيْر بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرَة، من بني سعد بن ليث، وعاقل بن البُكيْر، وخالد بن البُكَيْر، وإياس بن البُكَيْر، حلفاء بني عدي بن كعب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رَزَاح بن عدي بن كعب، قدم من الشام بعدما قدم رسول الله ﷺ من بدر، فكلمه، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، قال: وأجرى يا رسول الله! قال: (وأجرك). أربعة عشر رجلاً.

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح، وابنه السائب بن عثمان، وأخواه قُدَامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون، ومَعْمَر بن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب بن وهْب بن حُذَافة بن جُمَح، خمسة نفر.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن خُنَيْس بن حُذَافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، رجل.

قال ابن إسحاق: من بني عامر بن لؤي، ثم من بني مالك بن حِسْل بن

عامر: أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل، كان خرج مع أبيه سهيل بن عمرو، فلما نزل الناس بدراً فَرَّ إلى رسول الله ﷺ، فشهدها معه ـ وعمير بن عوف، مولى سهيل بن عمرو، وسعد بن خَوْلَة، حليف لهم. خمسة نفر. قال ابن هشام: سعد بن خَوْلَة من اليمن.

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فِهْر: أبو عبيدة بن الجراح، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث، وسهيل بن وَهْب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضبَّة بن الحارث، وأخوه صفوان بن وهب، وهما ابنا بيضاء، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث، خمسة نفر.

فجميع من شهد بدراً من المهاجرين، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، ثلاثة وثمانون رجلاً.

قال ابن هشام: كثير من أهل العلم، غير ابن إسحاق، يذكرون من المهاجرين ببدر، في بني عامر بن لؤي: وَهْب بن سعد بن أبي سَرْح، وحاطب بن عمرو، وفي بني الحارث بن فِهْر: عياض بن زهير.

أما الأنصار ومن معهم، فقال ابن إسحاق: وشهد بدراً مع رسول الله ﷺ من المسلمين، ثم من الأنصار، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وعمرو بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أنس بن رافع بن امرىء القيس.

ومن بني عبيد بن كعب بن عبد الأشهل: سعد بن زيد بن مالك بن

عبيد. ومن بني زَعُورا بن عبد الأشهل ـ قال ابن هشام: ويقال: زَعْورا ـ سلمة بن سلامة بن وقش بن زُغْبة، وعباد بن بشر بن وَقَش بن زغْبة بن زعُورا، وسلمة بن ثابت بن وَقَش، ورافع بن يزيد بن كُرْز بن سَكن بن زَعُورا، والحارث بن خَزمة بن عدي بن أبيّ بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، حليف لهم من بني عوف بن الخزرج، ومحمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة بن الحارث، وسَلَمَة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة بن الحارث.

قال ابن هشام: أسلم بن حَرِيس بن عدي.

قال ابن إسحاق: وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، وعُبَيد بن التَّيِّهان.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التَّيِّهان.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن سَهْل، خمسة عشر رجلاً.

قال ابن هشام: عبد الله بن سَهْل: أخو بني زَعُورا، ويقال: من غَسَّان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظَفَر، ثم من بني سواد بن كعب، وكعب: هو ظَفَر.

قال ابن هشام: ظفر: ابن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي: قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد، وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد. رجلان.

قال ابن هشام: عمد بن أوس الذي يقال له: مقرِّن، لأنه قرن أربعة أسرى في يوم بدر، وهو الذي أسر عقيل بن أبي طالب يومئذٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد بن رزاح بن كعب: نصر بن الحارث بن عبد، ومعتِّب بن عبد. ومن حلفائهم من بَلِيٍّ: عبد الله بن

طارق: ثلاثة نفر. ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مسعود بن سعد بن عامر بن عدي بن جُشَم بن مَجْدَعة بن حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: مسعود بن عبد سعد.

قال ابن إسحاق: وأبو عَبْس بن جَبْر بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة. ومن حلفائهم ثم من بَلِيٍّ: أبو بردة بن نيار، واسمه: هانىء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبْيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هُنَيٍّ بن بَلِيٍّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. ثلاثة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني ضُبَيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: عاصم بن ثابت بن قيس، وقيس أبو الأقلح بن عِصْمة بن مالك بن أَمَة بن ضُبَيْعة ـ ومعتِّب بن قُشَير بن مُلَيل بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبَيعة، وأبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد بن العطَّاف بن ضُبَيعة، وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضُبَيعة.

قال ابن هشام: عُمَيْر بن معبد.

قال ابن إسحاق: وسهيل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو، وعمرو الذي يقال له: بحزج بن حَنَس بن عوف بن عمرو بن عوف. خمسة نفر.

ومن بني أمية بن زيد بن مالك: مُبَشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبر بن زيد بن أمية، ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبر، وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية، وعُوَيْم بن ساعدة، ورافع بن عُنْجدة ـ وعُنْجدة أمه، فيما قال ابن هشام ـ وعُبيد بن أبي عُبيد، وثعلبة بن حاطب.

وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر، والحارث بن حاطب خرجا مع

رسول الله ﷺ فرجعهما، وأَمَّر أبا لبابة على المدينة، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر. تسعة نفر، قال ابن هشام: ردهما من الرَّوحاء.

قال ابن هشام: وحاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية، واسم أبي لبابة بَشير ومن بني عبيد وحلفائهم سبعة نفر، ومن بني ثعلبة سبعة نفر. ومن بني جحجبى وحلفائهم رجلان، ومن بني غَنْم خمسة نفر، ومن بني معاوية وحلفائهم ثلاثة نفر. وشهد بدراً من الأوس واحد وستون رجلاً ـ من بني امرىء القيس أربعة نفر، ومن بني زيد رجلان، ومن بني عدي ثلاثة نفر.

ومن بني أحمر بن حارثة، رجل ويقال له: ابن فُسْحم، وهي أمه.

ومن بني جُشَم أربعة نفر، ومن بني جدارة أربعة نفر، ومن بني الأبجر، رجل. ومن بني عوف بن الخزرج. رجلان. ومن بني جزء وحلفائهم. ستة نفر. ومن بني سالم بن عوف، رجل، ومن بني أصرم بن فِهْر بن ثعلبة، رجلان. ومن بني دعد بن فِهْر بن ثعلبة. رجل، ومن بني قُرَيُوش بن غَنْم، رجل. ومن بني مَرْضخة، رجل، ومن بني لَوْذان وحلفائهم ثلاثة نفر.

ومن بني ساعدة: أبو دُجانة، سِمَاكُ بن خَرَشَة، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة. رجلان.

ومن بني البدي وحلفائهم، رجلان، ومن بني طريف وحلفائهم خمسة نفر. ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلَمَة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يَزيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: خَراش بن الصمَّة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، والحُبَاب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام، وعُمير بن الحُمام بن الجموح بن زيد بن حرام، وتميم مولى خراش بن الصمَّة، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوِّذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، وخَلاَّد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام،

وحبيب بن أسود مولًى لهم، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام، وثعلبة الذي يقال له الجذع، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام، اثنا عشر رجلاً.

ومن بني عبيد وحلفائهم. تسعة نفر، ومن بني خناس. سبعة نفر. ومن بني النعمان، أربعة نفر، ومن بني سواد. أربعة نفر، ومن بني عدي بن نابي. ستة نفر.

قال ابن إسحاق: والذين كسروا آلهة بني سَلِمة: معاد بن جبل، وعبد الله بن أنيس، وثعلبة بن غنمة، وهم في بني سواد بن غَنْم.

ومن بني زريق. سبعة نفر، ومن بني خالد رجل، ومن بني خلدة، خمسة نفر. ومن بني العجلان ثلاثة نفر. ومن بني بياضة ستة نفر. ومن بني حبيب رجل. ومن بني النجار، رجل، ومن بني عسيرة، رجل، قال ابن هشام: ويقال: عُسَيْر وعُسَيْرة.

ومن بني عمرو بن عبد عوف، رجلان، ومن بني عُبيد بن ثعلبة، رجلان، ومن بني عائذ وحلفائهم، رجلان، ومن بني زيد بن ثعلبة، ثلاثة نفر. ومن بني سواد وحلفائهم: ومن بني سواد بن مالك بن غَنْم: عَوْف، ومعوِّذ، ومعاذ، بنو الحارث بن رِفاعة بن سَوَاد، وهم بنو عفراء، قال ابن هشام: عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، ويقال: رفاعة: ابن الحارث بن سَوَاد.

قال ابن إسحاق: والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد، ويقال: نُعَيْمان، فيما قال ابن هشام، وعامر بن مخلد، وعبد الله بن قيس، وعُصَيْمة حليف لهم من أشجع، ووديعة بن عمرو حليف لهم من جُهَيْنَة، وثابت بن عمرو، وزعموا أن أبا الحمراء، مولى الحارث بن عفراء قد شهد بدراً، عشرة نفر.

ومن بني عامر بن مالك ثلاثة نفر، ومن بني عمرو بن مالك ـ وهم بنو حُدَيْلَة ـ رجلان. ومن بني عدي بن عمرو، ثلاثة نفر، ومن بني عدي بن

النجار ثمانية نفر منهم «حارثة بن سراقة بن الحارث» و«سواد بن غَزِيَّة». قال ابن هشام: ويقال: سَوَّاد.

ومن بني حرام بن جُنْدَب. أربعة نفر، ومن بني مازن بن النجار وحلفائهم ثلاثة نفر، ومن بني خنساء بن مبذول بن عمرو. رجلان.

ومن بني ثعلبة بن مازن بن النجار: قيس بن مُخَلَّد بن ثعلبة. رجل، ومن بني دينار بن النجار، ثم من بني مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة، خمسة نفر. ومجموع من شهد بدراً من المهاجرين والأنصار، ومن ضرب له بسهم وأجر ثلاثمائة رجل وأربعة عشر، ثلاثة وثمانون من المهاجرين، وواحد وستون من الأوس، ومائة وسبعون من الخزرج.

أما من استشهد من المسلمين في بدر فمن قريش، ثم من بني المطَّلب بن عبد مناف: «عبيدة بن الحارث» قتله، «عتبة بن ربيعة» قطع رجله، ثم مات بالصفراء، رجل. ومن بني زُهرة بن كلاب: عمير بن أبي وقاص بن أُهَيْب، وهو أخو سعد بن أبي وقاص، وذو الشمالين بن عبد عمرو. رجلان.

ومن بني عدي بن كعب بن لؤي: عاقل بن البُكَيْر، ومِهْجع مولى «عمر» رجلان. ومن بني الحارث بن فِهْر: صفوان بن بيضاء، رجل.

ومن بني عمرو بن عوف من الأنصار: سعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر، رجلان. ومن بني الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث، ابن فُسْحُم. رجل.

ومن بني سلمة: عمير بن الحُمام. رجل. ومن بني حبيب: رافع بن المعلَّى. رجل. ومن بني النجار: حارثة بن سراقة، رجل. ومن بني غَنْم: عوف ومعوذ ابنا الحارث وعفراء. رجلان.

وأما عن قتلى المشركين في بدر، قال ابن هشام[1]: حدثني أبو عبيدة

(١) سيرة ابن هشام: (٢/٣٢٨).

عن أبي عمرو: أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلاً، والأسرى كذلك، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن المسيَّب، وفي كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] يقوله لأصحاب أحد ـ وكان من استشهد منهم سبعين رجلاً ـ يقول: قد أصبتم يوم بدر مثلي من استشهد منكم يوم أحد ـ سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً، وأنشدني أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

فأقام بالعطن المُعَطَّن منهم سبعون عتبة منهم والأسودُ

قال ابن هشام: يعني قتلى بدر.

وقد قتل الله بسيوف المسلمين ألد أعدائه، وغيَّب الموت أشقى أشقيائه، فمن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: قتل أبو جهل بن هشام بن المغيرة، ضربه «معاذ بن عمرو بن الجموح» ضربة بسيفه فأطاح برجله، فجاء ابنه «عكرمة» فضرب «معاذاً» فطرح يده، ثم ضرب معوِّذ بن الحارث بن عفراء «أبا جهل» فأثبته، وتركه وبه رمق، ثم جاءه «عبد الله بن مسعود» فذفَّف عليه ـ أي: أجهز عليه ـ ثم احتزَّ رأسه وحمله إلى رسول الله ﷺ، فلما وضعه بين يديه، حمد الله تعالى. وقتل «حمزة بن عبد المطلب» شقياً آخر هو «شيبة بن ربيعة»، وقتل «علي بن أبي طالب» الوليد بن عتبة، أما «عبيدة بن الحارث» فقد تبادل مع «عتبة بن ربيعة» ضربتين، فأثبت كل منهما صاحبه، وفقد «عبيدة» إحدى ساقيه، فأسرع «حمزة» و«علي» إلى «عتبة» فقضيا عليه، واحتملا صاحبهما «عبيدة» إلى معسكر المسلمين.

وقتل «عمر بن الخطاب» العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وقتل «زيد بن حارثة» حنظلة بن أبي سفيان، وقيل: شاركه في قتله «حمزة» و«علي». وقتل «عمارُ بن ياسر» عامر بن الحضرمي، وقتل «النعمان بن عصر» الحارث بن الحضرمي، وقتل «الزبيرُ بن العوام» عبيدة بن سعيد بن العاص، وقتل «عليُّ بن أبي طالب» العاصَ بن سعيد بن العاص.

وقتل «عليُّ بن أبي طالب» نوفل بن خويلد، وهو ابن العدوية، وهو

الذي قَرَن «أبا بكر الصديق» و«طلحة بن عبيد الله» حين أسلما في حَبْل، فكانا يسميان (القرينين) لذلك، ونوفل أحد شياطين قريش فأراح الإنس منه.

وقتل: «المُجَذَّرُ بن زياد» أبا البختري بعد أن ألح عليه أن يستأسر فأبى إلا القتال فقُتِل. وقتلُ «عمارُ بن ياسر» الحارث بن زمعة، وقتل «حمزة» و«عليٌّ» عقيل بن الأسود بن المطلب.

وقتل «عليٌّ» طعيمةَ بن عدي، وقيل: قتله «حمزة بن عبد المطلب». وقُتِلَ صبراً «النَّضْر بن الحارث»، قتله «علي بن أبي طالب» بالصفراء، مُنْصَرَفَ رسول الله ﷺ من بدر، حيث أمره رسول الله ﷺ بقتله.

وَقُتِلَ صبراً «عقبة بن أبي معيط» قتله «عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح» عند وصول رسول الله ﷺ إلى عِرْقِ الظبية، منصرفه من بدر، حيث أمره رسول الله ﷺ بقتله.

وقَتل «عليٌّ» عامر بن عبد الله، من بني أنمار بن بغيض.

وقتل «زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد» قال ابن هشام: قتله ثابت بن الجذع، أخو بني حرام، ويقال شاركه «حمزة» و«علي» في قتله.

وقَتَل «بلال بن رباح» زيدَ بن مُلَيْص، حليف بني عبد الدار.

وَقُتِل من بني تيم بن مرة: عمير بن عثمان بن عمرو، قتله «عليٌّ» أو «عبد الرحمٰن بن عوف». وقَتَل «صهيبُ بن سنان» عثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب.

وَقتلَ «أبو دجانة الساعدي» أبا مسافع الأشعري حليف لبني مخزوم من بني تميم. وقتل «عمار بن ياسر» يزيد بن عبد الله، حليفاً لهم، وَقَتل «خارجةُ بن زيد» أو «عليٌّ بن أبي طالب» حرملة بن عمرو حليفاً لهم. وقَتَل «عليٌّ بن أبي طالب» مسعود بن أبي أمية، وقَتَل «حمزةُ بن عبد المطلب» أبا قيس بن الوليد بن المغيرة.

وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، قتله «علي» أو «عمار بن ياسر».

ورفاعة بن أبي رفاعة بن عابد قتله «سعد بن الربيع الأنصاري». والمنذر بن أبي رفاعة بن عابد قتله «معن بن عدي».

وَقتل «حمزة» الأسود بن عبد الأسد المخزومي «الذي أقسم أن يشرب من الحوض أو يهدمه أو يموت دونه، فقتله «حمزة» فيه.

وحاجب بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ قتله «علي بن طالب». وعويمر بن السائب بن عويمر قتله «النعمان بن مالك القوقلي» مبارزة. وعمرو بن سفيان قتله «يزيد بن رُقَيْش» وجابر بن سفيان قتله أبو بردة بن نيار.

ومن بني سهم: مُنَبِّه بن الحجاج قتله أبو اليَسَر أخو بني سَلِمة، وقتل «عليٌّ» ابنه العاص بن منبه بن الحجاج، وقتل «حمزة» وشريكه «سعد بن أبي وقاص» نُبَيْه بن الحجاج، واختلف فيمن قتل أبا العاص بن قيس بن عدي بين «أبي دجانة» و«علي بن أبي طالب» و«النعمان بن مالك القوقلي».

وقتل «أبو اليَسَر» عاصم بن عوف بن ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم. ومن بني جمح قُتِلَ «أمية بن خلف» وابنه «علي بن أمية بن خلف» واخْتُلِف فيمن قتلهما بين عدد من الأنصار الذين لَبَّوْا نداء، «بلال بن رباح» وحين دعاهم لقتله، فتناوشته سيوفهم مع ابنه «علي».

وقَتَل «علي بن أبي طالب» أوس بن مِعْيَر بن لوذان، وقال ابن هشام: قتله «الحصين بن الحارث بن المطَّلب» و«عثمان بن مظعون» والله أعلم.

ومن بني عامر بن لؤي: معاوية بن عامر، حليف لهم من عبد القَيْس، قتله «علي بن أبي طالب» وقال ابن هشام: قتله «عُكَّاشَة بن مِحْصَن». ومعبد بن وَهْب قتله «خالد وإياس ابنا البُكَيْر، وقال ابن هشام: «أبو دُجانة». وذكر ابن هشام عدداً آخر من القتلى لم يَذْكُرْهم ابن إسحاق، وهم: من بني عبد شمس: وَهْب بن الحارث، وعامر بن زيد.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: عقبة بن زيد، وعمير مولى لهم.

ومن بني عبد الدار: نُبَيْه بن زيد بن مُلَيْص، وعُبَيْد بن سليط.

ومن بني تيم بن مُرَّة: مالك بن عُبيد الله (أخو طلحة بن عبيد الله)، أسر فمات في الأسر فعد في القتلى، وعمرو بن عبد الله بن جُدْعان.

ومن بني جُمَح بن عمرو: سَبْرَة بن مالك، حليف لهم.

ومن بني سهم بن عمرو: الحارث بن منبه بن الحجاج، قتله «صهيب»، وعامر بن عوف بن ضُبَيْرة، قتله «عبد الله بن سلمة العجلاني»، ويقال: «أبو دجانة». ومن بني مخزوم بن يَقَظة: حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله «سعد بن أبي وقاص» وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله صهيب بن سنان، وزهير بن أبي رفاعة قتله «أبو أُسَيْد مالك بن ربيعة» والسائب بن أبي رفاعة قتله عبد الرحمٰن بن عوف، وعمير حليف لهم من طيء وخيار حليف لهم من القارة، وعائذ بن السائب جرحه (حمزة) وأسر ومات في الطريق بعد أن افتدي.

أما أسرى قريش يوم (بدر) فهم:

من بني هاشم: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم. رجلان.

ومن بني المطلب بن عبد مناف: السائب بن عبيد، ونعمان بن عمرو بن علقمة. رجلان. ومن بني عبد شمس وحلفائهم: عمرو بن أبي سفيان بن حرب، والحارث بن أبي وجزة، أو ابن أبي وحرة، وهو قول ابن هشام.

وأبو العاص بن الربيع، زوج (زينب) بنت رسول الله ﷺ، وأبو العاص بن نوفل، وأبو ريشة بن أبي عمرو، وعمرو بن الأزرق، وعقبة بن عبد الحارث، من حلفائهم، سبعة نفر.

ومن بني نوفل وحلفائهم: عَدِيُّ بن الخيار، وعثمان بن عبد شمس، وأبو ثور. ثلاثة نفر. ومن بني عبد الدار وحلفائهم: أبو عزيز بن عمير بن هاشم، والأسود بن عامر حليف لهم. رجلان.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قصي: السائب بن أبي حُبَيْش بن المطلب، والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد، وقال ابن هشام: هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد، وسالم بن شَمَّاخ، حليف لهم. ثلاثة نفر.

ومن بني مخزوم بن يَقْظة بن مُرَّة: خالد بن هشام بن المغيرة، وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصيفي بن أبي رفاعة بن عابد[1]، وأبو المنذر بن أبي رفاعة، وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب بن عابد، والمطلب بن حَنْطب بن الحارث، وخالد بن الأعلم، حليف لهم، وهو كان أولَ من ولى فارًّا منهزماً، وهو القائل:

ولسنا على الأدبار[2] تدمى كُلومنا ولكن على أقدامنا يقطرُ الدمُ

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: أبو وداعة بن ضُبَيْرة، أول أسير افتدي، افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة، وفروة بن قيس بن عدي بن حذافة، وحنظلة بن قبيصة بن حذافة، والحجاج بن قيس بن عدي. أربعة نفر.

ومن بني جمح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب: عبد الله بن أبيّ بن خلف بن وَهْب، وأبو عزة، عمرو بن عبد بن عثمان، والفاكه مولى أمية بن خلف، وَوهْب بن عمير بن وَهْب، وربيعة بن درَّاج بن العَنْبس، خمسة نفر.

ومن بني عامر بن لؤي: سهيل بن عمرو بن عبد شمس، وعبد بن زمْعَة بن قيس، وعبد الرحمٰن بن مَشنوء بن وقدان. ثلاثة نفر.

ومن بني الحارث بن فِهْر: الطفيل بن أبي قُنَيْع، وعتبة بن عمرو بن جَحْدم، رجلان.

وممن فات ابن إسحاق ذكرهم:

---

(١) في سائر الأصول (عائذ).

(٢) قال ابن هشام: (ولسنا على الأعقاب).

عتبة، حليف لبني هاشم بن عبد مناف. رجل.

ومن بني المطلب بن عبد مناف: عقيل بن عمرو، حليف لهم، وأخوه تميم وابنه، ثلاثة نفر.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن أسيد، وأبو العريض يسار، مولى العاص بن أمية. رجلان.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: نبهان، مولى لهم، رجل.

ومن بني أسد بن عبد العزَّى: عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث. رجل.

ومن بني عبد الدار بن قصي: عَقِيل، حليف لهم من اليمن. رجل.

ومن بني تَيْم بن مُرَّة: مُسَافع بن عِياض بن صخر، وجابر بن الزبير. رجلان.

ومن بني مخزوم بن يقظة: قيس بن السائب. رجل.

ومن بني جمح بن عمرو: عمرو بن أُبَيٍّ بن خلف، وأبو رُهْم بن عبد الله، وحليف لم يُسَمَّ، ومولیان لأمية أحدهما نِسْطاس، وأبو رافع غلام أمية بن خلف. ستة نفر.

ومن بني سهم بن عمرو: أَسْلَمُ مولى نُبَيْه بن الحجاج. رجل.

ومن بني عامر بن لؤي: حبيب بن جابر، والسائب بن مالك، رجلان.

ومن بني الحارث بن فِهْر: شافع وشفيع، حليفان لهم من اليمن، رجلان.

وهيَّجت (بدر) قرائح شعراء المسلمين والمشركين، وكان المسلمون منهم يفخرون بالنصر العظيم الذي منحهم الله إياه في ذلك اليوم الأغر!

وأما المشركون فقد أطلقوا لمدامعهم العنان، وراحوا يبكون قتلاهم، ويذكرون مناقبهم ويتحسرون على غيابهم، والفراغ الذي أمسوا فيه بعد

رحيلهم، وما الشعر إلا تعبير عن المشاعر والأحاسيس، وكل شاعر يعبر عنها كيف يشاء، وقد تأتي أقواله مصداقاً لما يعتمل في نفسه، أو كما قال القائل:

يعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ

وربما تسمع القول فتخال قائله صادقاً حقاً، ثم تكتشف بعد حين أنه مخادع كذاب، والله وحده عليم بما تخفي الصدور.

وربما كانت هناك نوازع وبواعث أو ضغوط دعت الشاعر إلى قول ما قال، وهو غير مؤمن بما أفصح عنه لسانه، و[1]لما نزلت: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦] جاء «عبد الله بن رواحة» و«حسان بن ثابت» و«كعب بن مالك» وهم يبكون، فقالوا: يا رسول الله! لقد أنزل الله تعالى هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكنا، فأنزل الله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٧] استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ﷻ؛ ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله سبحانه وتعالى، والحث على الطاعة، والحكمة والموعظة بالحسنة، والزهد في الدنيا، والترهيب عن الركون إليها، والاعترار بزخارفها، والافتتان بملاذّها الفانية، والترغيب فيما عند الله تعالى، ونشر محاسن رسوله ﷺ، ومدحه، وذكر معجزاته ليتغلغل حبه في سويداء قلوب السامعين وتزداد رغباتهم في اتباعه، ونشر مدائح آله، وأصحابه وصلحاء أمته لنحو ذلك

ولو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع بطريق الانتصار ممن هجاهم من غير اعتداء ولا زيادة، كما يشير إليه قراءة بعضهم (وانتصروا بمثل ما ظلموا)، وقيل: المراد بالمستثنين شعراء المؤمنين الذين كانوا ينافحون عن رسول الله ﷺ ويكافحون هجاة المشركين، واستدل لذلك بما

(١) تفسير الآلوسي: (١٩/٢٤٧).

أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عند قتادة: إن هذه الآية نزلت في رهط من الأنصار هاجَوْا عن رسول الله ﷺ، منهم «كعب بن مالك» و«عبد الله بن رواحة» و«حسان بن ثابت». وعن السدي نحوه، وبما أخرج جماعة عن أبي حسن سالم البراد أنه قال: لما نزلت ﴿والشعراء...﴾ الآية جاء «عبد الله بن رواحة» و«حسان بن ثابت» و«كعب بن مالك» وهم يبكون، فقالوا: يا رسول الله! لقد أنزل الله تعالى هذه الآية، وهو يعلم أنا شعراء، هلكنا، فأنزل الله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ: فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم.

وأنت تعلم أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، وأخرج ابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قرأ قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلى آخر الصفات فقال: هم أبو بكر، وعمر، وعلي، وعبد الله بن رواحة ولعله من باب الاقتصار على بعض ما يدل عليه اللفظ، فقد جاء عنه في بعض الروايات ما يشعر بالعموم، هذا واستدل بالآية على ذم الشعر، والمبالغة في المدح والهجو وغيرهما من فنونه، وجوازه في الزهد والأدب ومكارم الأخلاق، وجواز الهجو لمن ظلم انتصاراً كذا قيل، واعلم أن الشعر باب من الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، وفي الحديث: «إن من الشعر لحكمة» وقد سمع رسول الله ﷺ الشعر، وأجاز عليه، وقال عليه الصلاة والسلام لحسان رضي الله تعالى عنه: (اهجهم ـ يعني المشركين ـ فإن روح القدس سيعينُك)، وفي رواية: (اهجهم وجبريك معك).

وأخرج ابن سعد عن ابن بريدة أن جبريل ـ عليه السلام ـ أعان حساناً على مدحته النبي ﷺ بسبعين بيتاً.

وأخرج أحمد، والبخاري في التاريخ، وأبو يعلى، وابن مردويه عن كعب بن مالك: أنه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله تعالى أنزل في الشعراء ما أنزل، فكيف ترى فيه؟ فقال: (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده! لكأن ما ترمونهم به نضح النبل).

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين، قال رسول الله ﷺ ليلة وهم في سفر: (أين حسان بن ثابت؟) فقال: لبيك! يا رسول الله! وسعديك! قال: (خُذْ) فجعل ينشده ويصغي إليه حتى فرغ من نشيده، فقال رسول الله ﷺ: (لَهَذا أشَدُّ عليهم من وقع النبل). ويروى عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ بنى لحسان بن ثابت منبراً في المسجد ينشد عليه الشعر.

وأخرج الديلمي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: الشعراء الذين يموتون في الإسلام يأمرهم الله تعالى أن يقولوا شعراً يتغنى به الحور العين لأزواجهن في الجنة، والذين ماتوا في الشرك يدعون بالويل والثبور في النار. وقد أنشد كل من الخلفاء الراشدين، رضي الله تعالى عنهم أجمعين الشعر، وكذا كثير من الصحابة، رضي الله تعالى عنهم] انتهى كلام الآلوسي ـ رحمه الله تعالى. وكانت «هند بنت عتبة بن ربيعة» أعظم قريش فجيعة، وأفدحهن مصيبة، لفقد أبيها، وعمها، وأخيها، فراحت تبكيهم بشعرها، وتستثير الهمم للثأر لهم، وأقسمت على بعلها «أبي سفيان بن حرب» ليثأرن لها ولقتلى قريش جميعاً، ولا سيما من استقر منهم في قعر قليب بدر، فقالت:

أبكي عميد الأبطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغٍ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحكِ فاعلمي ... وشيبةَ والحامي الذمارَ وليدها
أولئك آل المجد من آل غالبٍ ... وفي العز منها حين ينمي عديدها

وكانت الشاعرة الخنساء قد رأت «هنداً» وعيناها تذرفان بالدمع الغزير فسألتها: من تبكين يا هند؟ فردَّت عليها «هند» بهذه الأبيات الدالة على فداحة مصابها، وأساها العميق.

وكان «حسان بن ثابت» أكثر الشعراء حديثاً عن بدر، وتَقيُّداً للرد على شعراء المشركين، ولا غرو أن يفعل ذلك شاعر مسلم كان مؤيداً بروح القدس «جبريل» عليه السلام، ومما أنشده حسان يومئذ[1]:

---

(١) الأبيات عند ابن هشام في سيرته: (٣/٢٤) ولم يذكرها الطبري في تاريخه.

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة ... إبارتُنا الكفارَ في ساعة العُسْرِ
قتلنا سراة القوم عند مجالنا ... فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهرِ
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله ... وشيبة يكبو للبدين وللنَّحْرِ
قتلنا سويداً ثم عتبة بعده ... وطُعمةَ أيضاً عند ثائرة القَتْرِ
فكم قد قتلنا من كريم مُرَزَّإٍ ... له حَسَبٌ في قومه نابه الذكرِ
تركناهُمُ للعاويات يَنُبْنَهُمْ ... ويصْلَون ناراً بَعْدُ حامية القَعْرِ
لعمرك ما حامت فوارس مالكٍ ... وأشياعهم يوم التقينا على بَدْرِ

ووضعت الحرب أوزارها، وسكت صهيل الخيل، وتوقفت قعقعة السيوف، وشاور رسول الله ﷺ أصحابه بشأن الأسارى، بعد أن نزلت سورة الأنفال.

قال أبو جعفر في تاريخه[1]: [فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله ﷻ فيه من القرآن (الأنفال) بأسرها. حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثنا عاصم بن علي، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال حدثنا أبو زُمَيْل، قال: حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر التَقْوا، فهزم الله المشركين، فقُتِلَ منهم سبعون رجلاً، وأُسِرَ سبعون رجلاً، فلما كان يومئذٍ شاور رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر، فقال أبو بكر: يا نبي الله! هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة، وعسى الله أن يهديهم، فيكونوا لنا عضداً، فقال رسول الله ﷺ: (ما ترى يابن الخطاب؟) قال: قلت: لا، والله! ما أرى الذي رأى «أبو بكر»، ولكني أرى أن تمكِّنني من فلان فأضربَ عنقه، وتمكِّن «حمزة» من أخ له فيَضربَ عنقه، وتمكِّن «علياً» من عقيل فيضربَ عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادةٌ للكفار، هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم.

قال: فهَوِي رسول الله ﷺ ما قال «أبو بكر» ولم يَهْوَ ما قلت أنا،

(١) تاريخ الطبري (٢/٤٧٤).

فأخذ منهم الفداء، فلما كان الغد، قال عمر: غدوت إلى النبي ﷺ وهو قاعد و«أبو بكر»، وإذا هما يبكيان، قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكاؤكما، فقال رسول الله ﷺ: (للذي عرض عليَّ أصحابك من الفداء، لقد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة ـ لشجرة قريبة ـ وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ثم أَحَلَّ لهم الغنائم.

فلما كان من العام القابل في «أُحُدٍ» عوقبوا بما صنعوا، قُتِلَ من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون، وأُسِرَ سبعون، وكُسِرَت رباعيته، وهُشِمَت البيضة[1] على رأسه، وسال الدم على وجهه، وفر أصحاب النبي ﷺ، وصَعِدوا الجبل، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ونزلت هذه الآية الأخرى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ [آل عمران: ١٥٣ـ ١٥٤]. حدثني سالم بن جنادة، قال: حدثنا أبو معاوية، قال حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، قال: لما كان يوم (بدر)، وجيء بالأسرى، قال رسول الله ﷺ: (ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟) فقال «أبو بكر»: يا رسول الله! قومك وأهلك، استبقهم واستأنهم، لعل الله أن يتوب عليهم. وقال «عمر»: يا رسول الله! كذَّبوك وأخرجوك، قَدِّمْهم فضَرِّب أعناقهم، وقال «عبد الله بن رواحة»: يا رسول الله! انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم ناراً، قال: فقال العباس: قَطَعَتْكَ رَحِمُكَ! قال: فسكت رسول الله ﷺ، فلم يجبهم، ثم دخل، فقال ناس: يأخذ بقول «أبي بكر»، وقال ناس: يأخذ بقول «عمر»، وقال ناس: يأخذ بقول «عبد الله بن رواحة»، ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ،

(١) البَيْضَةُ: الخُوذَة.

فقال: (إن الله ﷻ ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشدَّ من الحجارة، وإن مَثَلَك يا أبا بكر! مَثَلُ «إبراهيم» قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَمَثَلُك يا أبا بكر! مَثَلُ عيسى، قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨]، ومَثَلُك يا «عمر» مَثَلُ «نوح»، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وَمَثَلُك كَمَثَل «موسى»، قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]. ثم قال رسول الله ﷺ: (أنتم اليوم عَالَةٌ فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق).

قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام. فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليَّ الحجارة من السماء مني في ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: (إلا سهيل بن بيضاء)، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[الأنفال: ٦٧] إلى آخر الآيات الثلاث.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: لما نزلت - يعني هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: (لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ، لقوله: يا نبي الله! كان الإثخان في القتل أحبَّ إليَّ من استبقاء الرجال)].

أما الذين رَدَّهم رسول الله ﷺ ولم يسمح لهم بالخروج إلى القتال يوم (بدر) لصغر سنهم، فمنهم «عبد الله بن عمر»، و«رافع بن خديج»، و«البراء بن عازب»، و«زيد بن ثابت»، و«أُسَيْدُ بن ظُهَيْر»، و«عمير بن أبي وقاص»، ثم أجاز «عميراً» بعد أن ردَّه، فقُتِلَ يومئذٍ. وهكذا! انتهت ملحمة الملاحم، وأم المعارك، وانتفل فيها رسول الله ﷺ سيف «مُنَبِّه بن الحجاج» المسمى ذا الفقار، وغنم جمل «أبي جهل» كبير الأشقياء والأشرار، بعد أن تم للمسلمين أعظم انتصار، وحاق بالمشركين العار والخسار: والحمد لله رب العالمين.